السنة الثامنة — العدد ٢٠ ١٥ تشرين ١ سنة ١٩٠٥

المشرق

من حماة الى حلب

رحلة حديثة للاب لويس شيخو اليسوعي

ليست الطريق بين حماة وحلب مجهولة فانَّ كثيرًا من المسافرين يسلكونها كل يوم ذهابًا وايابًا تقلّهم العجلات او يركبون صهوات الخيل ولعلّهم قطعوا هذه الطريق متأففين سأمًا من طولها واستنكافًا من تواصل سهولها الفسيحة وهي اشبه من الماء بالماء ومن التمرة بالتمرة . ولعلّنا نحن ايضًا كنا طفنا تلك البراري دون ان نجني من منظرها نفعًا لولا رغبتنا في ان نستفيد من أسفارنا لنفيد قرّاءنا ممَّا شاهدتهُ العين او سمعتهُ الاذن من خواص تلك البلاد

أدّت بنا طُرُق سكّة رياق في مساء الحادي عشر ايلول الى حماة . فبتنا فيها ليلتنا معوّلين على السير في غد الى الشهباء . وكان مهندسو السكّة الحديديّة بين حماة وحلب قد سبقونا ببضعة ايّام واقاموا حفلة شائقة لتدشين العمل في عيد الجلوس السلطانيّ السعيد على ان الاشغال النهائيّة لا يُباشر بها الّا في تشرين . والّا كان العملة وملتزمو اقساط السكة ومتولّو نظارتها يعدُّون لوازم الشغل فازدادت بهم حماة حركةً . امَّا احوال المدينة فكانت كما وصفناها في رحلتنا السابقة (راجع المشرق ٥ : ٩٥٣—٩٥٦) لا تزيد على ما قلناهُ هناك الّا ما افادنا عنهُ حضرة الخوري الياس مصري خادم كنيسة السريان في حماة وهو نموّ القطيع الكاثوليكي بهمّة صاحب الغبطة السيّد البطريرك اغناطيوس افرام الرحماني وقد بلغ اليوم عدد الكاثوليك ٢٥ بيتًا ولم يتجاوزوا قبل ثلاث سنوات ثلاثة او اربعة بيوت والمأمول ان يزيد عددهم اذا ما بُنيت لهم كنيسة واسعة يقيمون فيها فرائضهم الدينيّة

ما تنفّس صباح النهار حتى خرجنا من حماة ووجهتنا شمالها الشرقيّ راكبين عجلة لاحد الحوذيين الحمويّين تجرّها اربعة من الخيل فكان مسيرنا اوّلاً على مجرى العاصي ثمّ على جانب بساتين البلد الشهيرة فهناك اصناف الفواكه والحدائق الغنّاء التي لا يكاد ان يقعُ للشمس على ارضها شعاع لالتفاف اشجارها وتكاثف ازهارها واحرار بقولها . وكنّا نسمع صوت نواعيرها العظيمة تئنّ في دورانها كأنّها الثكلى فقدت وحيدها فتذكّرنا قول ابن نباتة فيها:

وناعورةٍ قالت وقد ضاع قلبُها واضلُعها كادت تُعدّ من السقمِ
ادور على قلبي فاني فقدتهُ واماً دموعي فهي تجري على جسمي

وقول الآخر :

اشبه ما بين القواديس صوتها ومن كلّ وجه ماؤها يتحدّرُ
بارملةٍ ضمّت اليها بناتها تنوحُ بشجوٍ والمدامعُ تقطرُ

ودام سيرنا بقرب المزارع والمحارث ساعةً من الزمن يواجهنا في طريقنا اهل البساتين والضياع القريبة قادمين الى المدينة ليبيعوا فيها محاصيل املاكهم . وكان يعجبنا منظرهم وهم في الغالب رجال معتدلو القامة مفتولو الاعصاب شديدو البنية صهرت الشمس وجوههم ولهم الازياء العربيّة من قمصان سابغة في وسطهم الاكمار المحكمة وعلى رؤوسهم الكوفيّات الملوّنة تتوّجها العُقل الصوفيّة او الوَبَريّة . وكنّا نرى عن شمالنا آكاماً تنتصب على طرف الوادي وفي جوانبها نقور واسعة كأنّها المغاور وما تلك سوى مقالع الحجارة التي منها بُنيت بعض عمارات حماة

ثمّ عطفنا على نهر الأُرنط فتوغلنا في الصحاري المقفرة وكانت اذ ذاك السهول مقحلةً بعد حصاد الغلّات فلا يُرى من خضرتها الّا بعض الاعشاب النامية وكانت العين على مدى البصر لا تشاهد سوى المفاوز المتّسعة اللهمّ الّا خطّ جبال النصيريّة كان يرتفع عن بُعد عند الأفق شمالاً . امّا القرى فقليلة في تلك البراريّ وهي في الغالب على ممرّ السابلة

وكان اوّل ما لقينا في طريقنا القمحانة وهي مزرعة حقيرة دُعيت بذلك لشهرة قمحها ثمّ قطعنا مرحتات وليس فيها عاربٌ وانّما هي آثار باقية من ازمنة غابرة تُرى فيها القبور المنقورة في الصخور والردوم والجدران المائلة التي تنبئ عن حالها القديم . وهناك

صهاريج يُنزَل اليها بالدرج منها قديمة من تاريخ الابنية الخربة ومنها اقرب عهداً اتَّخذها اصحاب البرّ فجعلوها على معبر الطريق ليشرب منها السابلة · وقد وجدنا اكثرها ناشفاً

ثمَّ توغَّلنا في الصحراء مائلين الى الشمال تطيف بنا من كل جانب مزروعات القمح والشعير التي لها في فصل الربيع مرأى تنشرح بنضارتها النفس فوصلنا في ضُحى النهار الاعلى الى طيّبة وهي قرية متوسطة في الكبر على ربوة تحدق بها الكروم لها جامع واهلها مسلمون · وبيوتها على شكل المخروط او اقراص السكَّر مستديرة في اسفلها مروَّسة في اعلاها · وكذلك اكثر القرى التي بين حماة وحلب · وهم يتَّخذون لبنيانها رجيع الدوابّ فيخلطونهُ بالتبن ثمَّ يجعلونهُ اقراصاً يجففونها في الشمس · فاذا ارادوا ابتناء دار ركَّبوا الاقراص على بعضها على سعة معلومة ثم طلوها بالملاط · ودفعاً لحرارة القيظ ولبرد الشتاء يقيمون في باطن الدار جداراً ثانياً من الاقراص ينتهي الى سقف الدار ويطلونهُ من داخله كما فعلوا من خارجه · وهذه البيوت عادة لا منفذ لها غير بابها · واذا ارادوا ان يتَّخذوا دارين او ثلاثة دور او اكثر جمعوا بينها بسور وفتحوا لها منفذاً في وسط السور · ومن رأى هذه القرى من بعيد ظنَّها مقبرة · وقد سألتُ اهل تلك القرى عن سبب اتخاذهم هذه الهندسة لدورهم فاجابوا أنها زيّ من الازياء اتَّخذهُ اجدادهم فجروا عليه تشبُّهاً · ولعلَّ اولئك اتَّخذوا الشكل المخروط لئلَّا ينفذ المطر والثلج في سطح الدار او بالحري لقلَّة الخشب اللازم لوضع السقف

ثمَّ سرنا نحو ساعة أُخرى فوصلنا الى مرَّة وفيها البطيخ الطيِّب · وكانت جبال النصيريَّة تلوح لنا من عن شمالنا مع قلاع قديمة استولى عليها الخراب كقلعة سيجر وقلعة المضيق وهي افامية الشهيرة

وفي ظهر النهار بلغنا خان شيخون بعد خمس ساعات لخروجنا من حماة · وخان شيخون هذه بلدة كبيرة ليس فيها غير المسلمين وهي في بطحاء متسعة يعلوها تلٌّ كبير على مثال قلعة حماة او قلعة حمص · وكنَّا رأيناها قبل عشر سنين وقد تضاعف اليوم عدد سكَّانها فيبلغون ثمانية الاف نسمة وقيل لنا انَّ رديفها ثلثمائة نفس وهي آخر قرى ولاية الشام · امَّا شيخون الذي نُسبت اليهِ القرية فهو امير كان عمَّر هناك خاناً ترى حتَّى الان آثارهُ

ليس بعد خان شيخون بلد يستحقّ الذكر سوى المعرّة . وهي معرّة النُعمان نسبةً الى نعمان بن بشير من ذوي الصحابة(١ وتمييزًا لها عن معرّة اخرى اصغر منها بجوارها اسمها معرّة الجرمل . وكان وصولنا الى المعرّة عند غروب الشمس بعد ان اجتزنا في بساتينها التي تكتنفها . وهذه البساتين هي اليوم قليلة الاتساع وكانت في سالف الزمان تمتدّ بضعة اميال . قال ابن جبير احد مشاهير كتبة القرن الثاني عشر « انّ بلاد معرّة سوادٌ كلّها شجر الزيتون والتين والفستق والفواكه وتتّصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقًا »

والمعرّة بلدة قديمة سبقت عهد الاسلام وان لم يُعرف من امرها الّا النزر القليل وممّا يدلّ على قدمها القبور العاديّة التي وُجدت حديثًا في ربضها والآثار الطامسة التي تُعايَن في جهاتها والنقود الرومانيّة التي اكتُشفت في ردومها ومنها ما يرتقي الى القرن الثالث للمسيح . وقد رأينا بعض احيائها ابوابًا من الحجر الاسود الصلد نُقشت على وجهها نقوش نصرانيّة قديمة بينها رموز الى السيد المسيح كالحرفين اليونانيين A و Ω او اشارة الى اسمه الكريم بالحرفين XP او الى سرّ قربانه الاقدس كصورة الخبز وهذه الابواب كما يظهر من القرن السادس للمسيح . وكان في المعرّة اساقفة

وقد اضحت هذه المدينة بعد الفتح الاسلاميّ عامرة اشتهر فيها قومٌ من كبار الرجال في مقدّمتهم ابو العلاء المعريّ الشاعر المتفنّن الطائر السمعة الذي برأنا ساحتهُ في احدى مقالات المشرق (٤:١٠٦٨) من وصمة الكفر الشنعاء . وقبر هذا العلّامة الخطير محفوف بالكرامة رأيناهُ في احدى زوايا البلدة وعلى ضريحهِ كتابة قديمة بالكوفيّ . وبقرب رمسهِ مدفون بعض من تلامذتهِ . وفي غرفة أُخرى مجاورة لقبرهما قبر الشيخ محمّد الغباريّ

وقد خرج من المعرّة فضلًا عن هؤلاء ادباء كثيرون منهم الشاعر ابو الفتح بن ابي حصينة المعريّ الذي اشتهر بخدمة بني مرداس اصحاب حلب ومدح كبيرهم نصر بن

---

١) ويقال انّ النعمان الذي نُسبت اليهِ المعرّة هو النعمان التنوخي الملقّب بالساطع . وهو راي ياقوت امّا ابن بطوطة فذكر رأيًا آخر وهو انّ النعمان اسم جبل مطلّ على المعرّة سُمّيت بهِ وقال انّ اسمها القديم كان ذات القصور

مرداس . ومنهم القاضي ابو القاسم حسن التنوخي المعري المتوفى سنة ٤١٩ هجر (١٠٢٨م) وله مصنفات ووصايا واشعار . ومما يستحسن له قوله :

انعَ الى من لم يمتْ نفسهُ فانهُ عما قليلٍ يموتْ
ولا تقل فات فلانٌ فما في سائر العالم من لا يفوتْ
ألا ترى الاجداث مملوءةً لما خلت من ساكنيها البيوتْ
فاقنعْ بقوتٍ حسبَ من لم يكن مخلَّدًا في هذه الدار قوتْ

والمعرَّة اليوم قائمقاميَّة تابعة لولاية حلب . واهلها نحو ٥٠٠٠ نفس . وكان نزولنا في الخان الذي شيَّدهُ مراد المعروف بالجلبي منذ نيف وثلثمائة سنة . وبإزائه خان آخر من بناء سنان باشا . وللمعرَّة قلعة خربة . وفي ظاهرها على بعد فرسخ منها قبر عُمر بن عبد العزيز . امَّا جامع المعرَّة ففيه قسمٌ قديم صبر على صروف الزمن من ذلك منارتهُ الحسنة الهندسة التي قيل لنا انها من بناء عُمر بن الخطَّاب ولعلَّ القائل اراد عمر بن عبد العزيز السابق الذكر. والقسم الآخر كان سقط بسبب الزلازل فجدَّد بناءهُ ابو الفداء صاحب حماة والكاتب الشهير . وممَّن لقيناهم من رجال الفضل في المعرَّة جناب مفتيها سعدي افندي الذي حظينا بزيارته فاحتفى بنا واكرم مثوانا . وذُكر لنا ايضًا بالخير الشيخ محمَّد رمضان الذي خلف اباهُ بالتدريس والعلوم العربيَّة

وعلى مقربة من المعرَّة في غربيها وشمالها قُرًى شهيرة بآثارها النصرانيَّة كالبارا وسرجلَّة والحسّ ودانا فيها مدافن وبقايا اديرة وكنائس وحمَّامات ومحابس منقورة بالصخر عليها الكتابات اليونانيَّة والرموز الدينيَّة . وقيل لنا انَّ في سرجلَّة وُجدت فسيفساء ذات نقوش بديعة تمثل حيوانات ونباتات واصنامًا الّا انَّ جهل البعض أدَّى الى اتلافها

وكان سفرنا من المعرَّة اليوم التالي قبل الفجر بثلاث ساعات في وجهة الشمال الشرقي فمررنا عند السحر في خان سبل او سنبل وهي قرية عامرة تدلُّ آثارها على انَّها كانت قبلًا ذات شأن . ومن الامور المضحكة ما عرض لنا في هذه القرية في رحلة سابقة فاننا نزلنا فيها للمبيت في طَفَل النهار فخرجنا لظاهر القرية لترويح النفس من مشقَّة السفر وكان في يدنا كتاب الصلاة لنتلوهُ في عزلة من القوم واذا بعابر طريق رآنا عن بُعد فظنَّ انَّ المكان مرصودٌ وانَّنا نفكُّ الرصد لاستخراج كنز دفين فتقرَّب

منّا وسألنا عمّا نعمل فاجبناه بلطف أنّنا نتلو صلاتنا الى الله فلم يقنعْ واخذ يلح علينا بان نعطيهُ قسمًا من الكنز . فلمّا شعرنا بسوءِ نيّته رجعنا الى منزلنا وهو يتعقّبنا ولولا بعض اهل القرية الذين رأوا جهلهُ فأمسكوهُ لأصابنا اذاهُ . فانتهزتُ الفرصة لاعرض على هؤلاء الجهّال ذكر الآخرة التي هي الكنز الوحيد الذي يحقّ للانسان ان يطلبهُ بخدمة ربّه

وخان سبل هي نصف الطريق بين حماة وحلب . ومنها الى الشهباء دربان قديم وحديث فالقديمة لا يصلح للعجلات ويمرّ على سرمين وقنّسرين غربًا وهما مدينتان جليلتان اصابتا قبل حلب مجدًا عظيمًا وكانت سرمين كثيرة البساتين شهيرة بمعامل صابونها الذي كان يُنقل الى الشام ومصر وكانوا يصطنعون منهُ ضروبًا شتّى كالصابون الاجرّي والصابون المطيّب لغسل الايدي وكانوا يصبغونهُ بالالوان شأن الصابون الغربي في أيّامنا . وكانت قنسرين تدعى سابقًا كلسيس تتوارد اليها تجارة الهند والعجم والعراق كما نُقلت بعد ذلك الى حلب لمّا خربت قنسرين . امّا الدرب الحديث فيقطع السهول توًّا شرقيّ سرمين وقنّسرين فلقينا بعد خان سبل بعض القرى وكان اهلها يذرون الغلّات في بيادرهم فواصلنا السير الى الشيخ احمد قرية اخرى اقمنا في خانها اربع ساعات ولم نجد فيها ما يستحقّ الذكر . الّا اننا اجتمعنا هناك باحد فضلاء الشهباء كان سبقنا اليها لنظارة املاكهِ في تلك الانحاء وهو السيّد محمّد رضا الجابري من اسرة حلبيّة عريقة في الشرف

ورحلنا بعد ظهر النهار الى حلب ومن خان شيخ احمد اليها نحو خمس ساعات فمررنا على سراقب ثمّ على زربة وفي كلّ هذه الانحاء اخربة قديمة يرتقي بعضها الى عهد الرومان ويُرى عليها صلبان وآثار مسيحيّة . وكان على شمالنا جبل الاربعين ثم جبل ريحا وكان كلاهما قديمًا حافلًا بالسكان . امّا من عن يميننا فكانت تلوح لنا جبال العيس وفيها على ما قيل لنا نحو ٢٠٠ ضيعة وهي كلّها من الاراضي السلطانية . وعندها ستمرّ السكّة الحديديّة قريبًا

ثمّ وصلنا قُبَيل العصر الى خان تومان وهو خان كبير واسع الارجاء قد خرب قسمٌ منهُ نُسب الى الامير تومان الذي ابتناهُ لابناء السبيل ولقفول التجارة . وقرب الخان قرية يجري بقربها نهر القويق الجاري في حلب . وقيل لنا انّ القويق

الذي رأسهُ عند عين تاب يغيض في الصحراء قريباً من حلب امَّا نهر خان تومان فمن عين تسمَّى عين مبارك تصبُّ في القويق · وفي شرقيّ شمالي خان تومان هذا قرية نيرب وُجدت فيها كتابة آرامية قديمة ذكرناها في المشرق هذه السنة (ص ١٢٨)

تسير الطريق من خان تومان الى حلب بين آكام قليلة الارتفاع واودية قرية الغور الى ان يبلغ المسافر الى رابوسة وهي قرية حقيرة يكتشف الناظر من عندها قلعة حلب ومنائرها كأنَّها الابر دقَّةً ولا يلبث بعد قليل ان يدخل وسط المزدرعات التي تزين المدينة من غربها وجنوبها · فهناك اشجار الزيتون العاديَّة والتين والكروم وهذه الاشجار تزيد عدداً والتفافاً على قدر ما يقترب المسافر الى المدينة وتتوفَّر مياه نهر القويق

*

حلب في بطحاء فسيحة تحدق بها التلال كأنَّها السور يحصّنها ويردُّ عنها الغارات · فدخلناها في مساء الاربعاء ١٣٠ ايلول عائدين اليها بعد عشر من السنين ورأيناها اتَّسعت مجالاً وازدادت احياءً صارت لها كمدينة جديدة لاحقة بها كالسليمانيَّة ووالوكيليَّة والحميديَّة والعزيزيَّة والجميليَّة وكلها مبنيَّة على طرز المدن المستحدثة واسعة الشوارع منتظمة البنيان متقنة الهندسة · وقد أُقيمت لها كما في بيروت ساعة في احدى ساحاتها تُرى ويُسمع صوت دقَّاتها عن بُعد

وكان المهندسون للسكَّة الحديديَّة يوم دخولنا ينجزون الاقيسة لمدّ الاسلاك ويتفاوضون مع سعادة الوالي ووجوه البلد في تعيين محل المحطَّة أيجعلونها خارجاً عن البلد او قريباً من القلعة او في ساحة الجميليَّة وهذا الرأي الاخير كان المرجَّح ولعلَّهم يتَّفقون على اختياره

وليست غايتنا هنا ان نصف حلب وآثارها العديدة او ندوّن مزاياها الفريدة فانَّ حضرة الاب بولس جوون قد استرسل في هذا الموضوع في مقالته عن حلب (المشرق ٢:١٤ و١١٦) وانَّما نجتزئ بذكر ما عاينَّاه في مدَّة الاسبوعين اللذين قضيناهما في الشهباء ·

يرتأي العارفون باحوال حلب انَّ اهل هذه المدينة يربون اليوم على ١٥٠٠٠٠ نفس ثُلثهم على الاقلّ من النصارى بينهم الكاثوليك نحو ٢٥٠٠٠ اكثرهم الروم الكاثوليك ثمَّ الارمن ثمَّ السريان ثمَّ الموارنة ثمَّ الكلدان ثمَّ اللاتين · امَّا غير

الكاثوليك فأكثرهم الارمن الغريغوريون يبلغون نحو ٣٠٠٠٠ نفس ثم الروم الارثوذكس في عدد قريب من الالف مع قليل من اليعاقبة. وفي حلب اربعة رؤساء اساقفة على الكاثوليك وللكلدان نائب بطريركي . ويرعى اللاتين حضرة الآباء الفرنسيسيين

قد عُرف الحلبيُّون بنجابتهم وتوقُّد اذهانهم وحذقهم في العمل ولهم الاخلاق الدمثة والانس في المعاملة يرحبون بالغريب ويأنسون بالوافد. وحلب غنيَّة بآتي الحياة تتوفَّر فيها اسباب المعاش من ضروب المآكل والاثمار والبقول وهي تباع باثمان بخسة. وكذلك تكثر فيها الانسجة والاقمشة وكلّ اصناف الملابس واثاث البيوت بعضها بلديَّة والبعض الآخر يأتيها من البلاد الاوربيَّة. وللصناعة في حلب سوق رائجة يمكن اهلها لو ارادوا أن يصطنعوا كثيرًا من الاشغال الاجنبيَّة كالصاغات والحليّ والاسلحة والادوات النحاسيَّة والحديديَّة ورقم الاقمشة وشغل القصب والصابات واشياء أُخرى غيرها

والتجارة في حلب في تحسُّن. واهلها يؤمّلون لرواجها خيرًا عند نجاز السكّة الحديديَّة لتوفير المواصلات وتسهيلها وسرعتها. امَّا الزراعة فقد بلغت ثلثة اضعاف ما كانت عليه منذ عشرين سنة ومن مزروعاتهم الرابحة القطن والسمسم والخروع والتبغ وعرق السوس فضلًا عن الحبوب من حنطة وشعير وذرة وعن الفواكه الطيبة من بطّيخ وكمثرى وعنب ورمّان وفستق واثمار غيرها فاخرة

والمدارس في حلب تعنى بتدريس مبادئ القراءة والكتابة وشيء من الصرف والنحو والحساب يزيدون على ذلك في مدارس الاناث بعض الاشغال اليدويَّة كالخياطة والتطريز. ولحضرة الآباء الفرنسيسيين مدرسة داخليَّة عامرة وطلبتها يدرسون مع العربيَّة اللغات الايطاليَّة والفرنسويَّة والانكليزيَّة والتركيَّة. ولطائفتي الروم الكاثوليك والارمن مدرستان زاهرتان يعلّم فيهما بعض من فضلاء الكهنة والاخوة المريميين. وكذلك للسريان مدرسة تُدعى مدرسة الترقّي يديرها بغيرة حضرة المنسنيور جرجس شلحت. امَّا مدارس الاناث فيتولى تدبير اغلبها الراهبات اليوسفيَّات وراهبات قلبي يسوع ومريم وراهبات الحبل بلا دنس الارمنيات هذا فضلًا عمَّا للحكومة السنيَّة من الكتاتيب منها مكتب اعدادي ملكي ومكاتب اخرى مختلفة

وفي الشهباء مطبعتان الواحدة مطبعة الولاية فيها تُطبع جريدة فرات الرسميَّة وتنشر النشرات النظاميَّة ومطبوعات الحكومة السنيَّة والاخرى المطبعة المارونيَّة التي

وصفناها في مقالتنا عن فنّ الطباعة في حلب (راجع المشرق ٣ : ٣٥٥) ولصاحب السيادة المطران يوسف دياب الجزيل الاحترام رغبة في توسيع نطاقها وتوفير ادواتها وتجديد حروفها . وقد بلغنا انّ بعض ادباء الشهباء نالوا رخصةً في فتح مطبعة ونشر مجلّة علميّة فنتمنّى لهم التوفيق والنجاح

واهل حلب في كل طبقاتهم مشهورون بتديّنهم لم يكدّر صفاء تقواهم روح العصر الجديد اللهمّ الّا بعض الافراد منهم . وترى في الشهباء من الجوامع والمساجد والكنائس ما يقلّ مثلها عددًا وحسنًا في غيرها . قيل ان عدد الجوامع يتجاوز الثلثمائة ولاكثرها المنائر الجميلة المرتفعة امّا الكنائس فهي تربي على العشرين اكبرها كنيسة الموارنة لها قبّة عالية ينظرها الناظر من بعيد واذا دخلت هذه الكنائس حتّى في ايّام الاسبوع وجدت فيها قومًا من المصلّين القانتين لربّهم . ولكلّ الطوائف الكاثوليكيّة شركات خيريّة واخويّات تدلّ على غيرة اصحابها وتحمّسهم الديني . وقد حضرنا في دير الاباء اليسوعيين بعض هذه الاجتماعات الصالحة فكنّا نرى الكنيسة تغصّ دائمًا بالحضور من ارباب الصلاح

وفي حلب قومٌ من الادباء يتعاطون العلم وينعكفون على التدريس ويزاولون الكتابة والتأليف توفّقنا الى مواجهة البعض منهم للاقتباس من انوارهم كالشيخ كامل افندي الغزّي الذي يشتغل بتصنيف تاريخ واسع لموطنه حلب قرأ لنا نتفًا منهُ والشيخ احمد افندي الزرقاء اطلعنا على فقراتٍ من انشائهِ وافتح لنا خزانة كتبهِ ويطنب اهل الشهباء على معارف بيت الجابري وبيت الچلبي ويستعذبون شعر عبد الفتّاح افندي الطرابلسي والشيخ بشير افندي الغزّي وغيرهما من افاضل المسلمين. امّا النصارى ففي مقدّمتهم اساقفتهم الاجلّاء الموصوفون بسموّ المدارك وسعة الآداب وهم يسعون بترويج العلوم كما يهتمّون بتعزيز الدين ولبعضهم مؤلّفات حسنة وقفنا عليها . وممّن عُرف من الكهنة بفضلهم واجتهادهم في سبيل العلم وفتحوا لنا مكاتبهم حضرة الاباء جرجس منش وميخائيل اخرس المارونيين وجرجس شلحت وتوما ايوب السريانيين وبولس بليط الارمني وبطرس عزيز الكلداني وكلّهم مصنّفات طُبع قسم منها ونؤمل نشر باقيها قريبًا . ونخصُّ بالذكر بين ادباء النصارى جرجس افندي خيّاط وقسطاكي افندي حمصي وميشال افندي صقّال وبعض وجوه أُسرة الاسود وغيرهم

وكانت حلب سابقاً مدينة الكتب تكثر فيها المخطوطات لكثرة أدبائها ومدارسها وقد بيع منها قسم كبير حصل عليه الاجانب باثمان بخسة ٠ وقد اقتنينا نحن ايضاً منها نصيباً كما ذكرنا في وصف مخطوطات كليتنا الشرقية ٠ وفي رحلتنا هذه الحديثة لم نرجع بخفّي حنين بل اصبنا منها شيئاً لاسيّما من التآليف النصرانية التي كُتبت في القرون الثلثة الاخيرة

وممّا اطّلعنا عليه من المصنّفات الاسلاميّة الجديرة بالذكر بعض مخطوطات تُصان في المدرسة الاحمديّة تفضّل جناب السيد احمد افندي الجلبي فارانا ايّاها منها التهذيب لابي منصور محمّد الازهري المتوفّى سنة ٣٧٠ (٩٨١) في عدّة مجلّدات وهو من الكتب المختارة التي لم يُعرَف لها الّا نسخ قليلة ولعلّ احمد فارس منهُ استفاد في كتابهِ المعنون بسرّ الليل ٠ ومنها كتاب ما يُعوَّل عليه من الامثال لمحمّد امين المحبّي وهو كتاب نفيس كثير الفوائد واسع المواد مرتّب على حروف المعجم ٠ وكتاب الذيل على مرآة الزمان في معرفة الخلفاء والاعيان لابي الفرج بن الجوزي ألّفهُ قطب الدين موسى ابن محمّد البعلبكي ٠ وكتاب طبقات الملوك للثعالبي يحتوي اخبار الفرس مباشرةً بكيومرت ملكهم الاوّل ثمّ اخبار بعض الدول القديمة كالفراعنة وبني اسرائيل وملوك حمير والعراق ٠ وهذا الكتاب هو غير كتاب تاريخ الفرس للثعالبي الذي نشرهُ في باريس العلّامة زوتنبرغ ٠ وفي فهرست هذه المدرسة كتاب للفارابي يُدعى الرسالة الفتحيّة في الموسيقى وكأنهُ فقد اذ لم يمكن اكتشافهُ

وقد وجدنا عند جناب الوجيه فردريك يوخه تاريخاً لمصر والقاهرة لم نرَ لهُ ذكراً في خزائن الكتب يُنسب للقزويني وقد ذهب اسم الكتاب والمؤلف فدوّن كلاهما بقلم حديث على الصفحة الثانية ٠ وهذا التأليف يصف مدينة القاهرة منذ ابتنائها جوهر للفاطميين وصفاً موسّعاً على مثال الخطط للمقريزي لم يدع شيئاً من شوارعها واسواقها وقصورها وخزائنها وجوامعها الّا وصفهُ ٠ وهاءنذا الفصل الذي خصّهُ بخزانة الكتب استنسخناهُ لفوائده :

ذكر خزانة الكتب

قال المسيحي وذكر عبد العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد واس خزّان دفاتره فاخرجوا من خزانته نيفاً وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد . وحمل اليه رجل نسخةً من كتاب تاريخ الطبراني اشتراها بمائة دينار فاس العزيز الخزّان واخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبراني منها نسخة بخطهِ وذكر عندهُ كتاب

الجمهرة لابن دريد فاخرج من الخزانة مائة نسخة منها . وقال في كتاب الذخائر التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر اربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة وانّ الموجود فيها من جملة الكتب الخرجة في شدّة المستنصر الفان واربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلّاة بذهب وفضة وغيرها وانّ جميع ذلك كلّه ذهب فيما اخذ الجند في واجباتهم بعض قيمتهِ ولم يبقَ في خزائن القصر البرّانيّة منهُ شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصّل اليها . ووجدتُ صناديق مملوءة اقلاماً مبريّة من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما

(قال) وكنتُ بمصر في العشر الاوّل من محرّم سنة احدى وستين واربعمائة فرأيت منها خمسة وعشرين حملًا موقرة كتباً محمولة الى الوزير ابي الفرج محمّد بن جعفر المغربي فسألتُ عنها فعرفتُ انّ الوزير اخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بايجاب وجبت لهما عمّا يستحقّانهِ وغلمانهما من ديوان الجلس (كذا) وانّ حصّة الوزير ابي الفرج منها قوّمت عليهِ من جاري مماليكهِ وغلمانهِ بخمسة آلاف دينار

وذكر لي من لهُ خبرة بالكتب انها اكثر من مائة دينار (كذا) ونُهب جميعها من دارهِ يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها ما نُهب من دون من سار معهُ من الوزير ابي الفرج وابن ابي كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة ابي الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثمّ انتقل بعد مقتلهِ الى الغرب وسوى ما ظفرت بهِ لواته(?) محمولًا مع ما صار اليهِ بالابتياع والنصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة ٤٦١ وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الامصار صحّةً وحسنَ خطٍّ وتجليدًا وغرابة التي اخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونهُ في ارجلهم واحرق ورقها تأوّلًا منهم انها خرجت من القصر . . . . وانّ فيها كلام المشارقة (كذا) الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحُمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليهِ الرياح التراب فصار تلالًا باقية الى اليوم في نواحي اثار تعرف بلاد الكتب

وقال ابن الطوير: خزانة الكتب كانت في احد مجالس الميارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجيء . . . راكبًا ويترجّل على الدكة المنصوبة ويجلس عليهِ ويحضر اليهِ من يتولّاها وكان في ذلك الوقت الجليس ابن عبد القوي فيُحضر اليهِ المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك ممّا يقترحهُ من الكتب فان عنَّ لهُ أخذ شيء منها اخذهُ ثمّ يعيدهُ وتحتوي هذه الخزانة على عدّة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطّعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائة الف كتاب من المجلّدات ويسيرٍ من المجرّدات فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيّات والكيميا من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ما تُمّمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها والمصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخطّ ابن مقلة ونظائرهِ كابن البواب وغيرهِ وتولى بيعها ابن صورة في ايّام . . . الناصر صلاح الدين فاذا اراد . . . الانفصال بشيء منها اخذها لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة

وآخر فيعطي المساعد عشرين ديناراً او يخرج الى غيرها. وقال ابن ابي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر: «ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انهُ لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها انهُ كان فيها الف ومائة نسخة من تاريخ الطبراني الى غير ذلك ويقال انهُ كانت (تحتوي) على الف (الف) وستمائة الف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة» انتهى. ومما يؤيد ذلك انَّ القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لمَّا انشأ المدرسة الفاضليَّة بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة الف مجلَّد وباع ابن صورة جملةً منها في مدَّة اعوام فلو كانت كلها مئة الف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيءٌ كثير وذكر ابن ابي واصل انَّ خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين الف مجلَّد. (انتهى بحرفهِ)

ومن الآثار الاسلاميَّة التي رأيناها كتاب الدرّ المنتخب في تاريخ حلب لعلاء الدين ابن الخطيب عند كامل افندي الغزّي. وكتاب شرح مقامات الحريري للمطرّزي في مكتبة الموارنة. وفي هذه المكتبة كنّا رأينا في رحلة سابقة كتاباً نفيساً في عجائب المخلوقات اسمهُ نزهة العيون ولم نجدهُ هذه المرّة. وفي تركة المرحوم اريك فثّو قنصل ايطالية في حلب وبيروت نسخة بديعة منهُ. ووجدنا ايضاً عند حضرة الخوري جرجس شلحت نسخةً من كتاب جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس لابي القاسم عبد الرحمان المعروف بابن الخطيب وكتاب المذكّر والمؤنث للفرّاء تاريخهُ سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩م). ونسخة من كتاب الاضداد لابن الانباري (وقد طبع في ليدن) عند الاديب قسطاكي افندي الحمصيّ. وكتاب التيفاشي في المعادن والجواهر عند الشيخ احمد افندي الزرقاء. وعندهُ ايضاً كتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم وهو منسوب للبديع الهمذاني والمشهور انهُ لابن الاثير. وعند الطبيب الفاضل ميخائيل افندي جدّ كتاب المغني في الطب لابي الحسن سعيد بن هبة الله وكتاب نور العيون وجامع الفنون للشيخ ابي زكريَّا يحيى بن ابي الرجاء الطبيب وكتاب ديوان الطبّ المعروف بالمائة لابي سهل عيسى بن يحيى المسيحي كُتب سنة ٦٨٦ (١٢٨٧م) وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني كُتب سنة ٩٨٨ هـ. (١٥٨٠م). وفي المكتبة المارونيَّة كتاب دمية القصر في تراجم ادباء العصر ألّفهُ الباخرزيّ تتمَّةً لكتاب يتيمة الدهر للثعالبي. وديوان سيف الدين علي ابن سابق الدين عمر بن قزل بخطّ قديم. وكتاب ادب القضاة لحسام الدين عمر بن عبد الله الشعراني. وكتاب مفتاح الرحمة وكنز النعمة في الكيمياء. وكتاب تاج المداخل لمحمَّد ابن عبدالله الشريفي في

الفلكيات . وكتاب البرهان في علم الميزان للجلدكي . وكتاب الكافي في الطب لابي نصر عدنان بن منصور بن العين زربي . وكتاب التشويق الطبي لصاعد بن الحسن

وقد لقينا ايضاً كتباً نصرانيَّة مهمَّة نذكر اخصَّها . فمن ذلك نسخة من الاناجيل المقدَّسة على تقسيم الآحاد والاعياد حسب الطقس الملكي كُتبت في مصر كما تدلّ عليه الارقام القبطيَّة . في اوَّلها « بسم الاب الخ . نبتدئ بعون الله وحسن توفيقه ... بكَتْب الاربع الاناجيل المقدَّسة . اوَّل ذلك بشارة القديس متَّى الانجيلي الطاهر صلاتهُ تكون معنا امين . (الاوَّل منهُ ليوم الاحد قبل الميلاد المجيد) . كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ... » . وفي نهاية الاناجيل الاربعة كلندار سنوي للقديسين مع ما يُقرأ من الفصول في عيدهم : « نبتدئ بعون الله وحسن توفيقه ... نكتب سنكساري اي مجموع السنة (كذا) كلها نذكر فيهِ اسم كل قديس وما يخصُّهُ من فصول الاناجيل المقدَّسة في طول اثنا عشر شهور (كذا) السنة . اوَّل ذلك شهر ايلول . اوَّلهُ رأس السنة . وللسيدة ولسمعان الحلبي ... الثاني ماما الشاهد وليوحنا الصوَّام ... الثالث انثيموس ... الرابع فافيلا ... الخامس زخريَّا النبي ... السادس ميخائيل الملاك ... » . وفي آخر الكتاب « تمجز نسخ الانجيل المقدَّس ينبوع الحياة والمرشد الى الخلاص بشارة الانجيليين المعظَّمين في الرسل متَّى ومرقس ولوقا ويوحنا بترايبنه الشريفة على طقسها وكمالها ... وذلك في رابع عشر شهر حزيران سنة ستة آلاف وثمانمائة وخمسة واربعون (كذا) من ابينا آدم عليه السلام ومسيحيَّة سنة الف وثلثمائة وسبعة وثلثين » . وهذه النسخة عند حضرة الخوري المفضال نيقولا اديب السرياني نذكر منها لبيان خواصّها اسطراً من اوَّل متَّى واوَّل لوقا :

(قراءة للميلاد سحر قبل القداس) ومولد يسوع المسيح فعلى هذه الجهة كان عند ما خُطبت مريم أُمُّهُ ليوسف صودفت قبل اتفاقها حُبلى من الروح القدس وكان يوسف رجلاً صديقاً فاذ لم يشأ ان يشتهر امرُها اراد ان يصرفها سرًّا فعند افتكاره في ذلك اذ بملاك الربّ قد ظهر لهُ في الحلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك فانَّ المولود فيها من الروح القدس هو وستلد ابناً وتدعوا اسمهُ يسوع لانهُ هو يخلّص شعبهُ من خطاياهم وهذا كلُّهُ كان ليتمّ ما قالهُ الربّ بالنبي القائل : ها هي البتول تحبل وتلد ابناً يدعى اسمهُ عمانوئيل الذي تفسيرهُ منى (معنا) الله ... »

(قراءة في اعياد السيدة سحر) : وفي تلك الايام قامت مريم مسرعةً الى الناحية الجبليَّة

الى مدينة يهوذا ودخلت الى بيت زكريا وسلّمت على اليشبع فلمّا ان سمعت اليشبع صوت سلام مريم ارتكض الطفل في جوفها وامتلأت اليشبع من روح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت : مباركة انتِ في النساء ومبارك هو ثمر بطنك ومن اين لي هذا ان تجيء امّ ربي الى عندي لانّ ها مما صار صوت سلامك في اذني ارتكض الطفل بابتهاج في بطني ومغبوطة التي صدّقت ان سيكون كمالًا لما قالهُ الرب لها . فقالت مريم : تعظّم نفسي للرب وتبتهج روحي بالاله مخلّصي لانهُ نظر الى تواضع امتهِ. لانّ ها منذ الان تغبطني الاجيال كلها لانّ القدير صنع عظائمهُ فيّ واسمهُ قدوس (انتقال السيّدة سحر) ورحمتهُ الى جيل بعد جيل. على خائفيه صنع عزًّا بذراعهِ وشتّت المتجبرين بافكار قلوبهم. حطّ المقتدرين عن كراسيهم ورفع المتخضعين. ومن الخير ملأ (ملأ) نفوسهم واصرف (وصرف) الاغنياء خائبين. عضد اسرائيل عبدهُ وتذكّر رحمتهُ كالذي قال لآبائنا ابراهيم وذرّيتهِ الى الابد »

ومن الكتب النصرانيَّة القديمة التي وجدناها نسخة من تاريخ البطريرك سعيد بن بطريق عند حضرة القس جرجس منش مجلّدة بخشب وفي اخرها « علّقهُ بيدهِ ثلجه النصراني الحموي سنة ٧١٣٢ لآدم (١٦٢٤م) » ويليها حاشية بيد الشماس نجل البطريرك مكاريوس تحتوي ترجمة ابن بطريق نقلًا عن تاريخ ابن المكين . وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة كهذه خطًّا وورقًا وتجليدًا. وفي مكتبة حلب المارونيَّة نسخة ثالثة اقرب عهدًا. وفيها نسخة من كتاب دعوة الاطبَّاء لابن بطلان التي طبعتها مجلَّة الطبيب حديثًا ومنها نسخة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة . ومن الآثار المسيحيَّة ايضًا كتاب الطبّ الروحاني وهو كتاب قديم يتضمَّن الحقّ القانوني الملكيّ في ٤٧ فصلًا مع مختصر المجامع منهُ نسخة عند حضرة الخوري توما ايوب ونسختان في المكتبة المارونيَّة . ومنها كتاب الشرائع او الناموس القبطي كُتب منذ نحو ٥٠٠ سنة ويُصان في مكتبة الروم الكاثوليك وكان يخصّ سابقًا مكتبة اليسوعيين كما يظهر من كتابة لاتينيَّة في اوَّلهِ. ومنها كتاب بهجة المؤمن في مسائل شرعيَّة وموضوعات فلسفيَّة للشيخ الفيلسوف عبدالله بن الفضل الانطاكي كتبهُ في تاريخ ٦٥٦٠ للعالم (١٠٥٢م) في مكتبة الروم الملكيين . ولهُ في مكتبة الموارنة كتاب المعاني الروحيَّة في ٣٥ بابًا لماري اسحق الناسك نقلهُ عبدالله بن الفضل من اليونانيَّة . ولهُ في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت ترجمة البرهان في تثبيت الايمان للقديس سوفرونيوس . ووجدنا في حلب عدَّة نسخ من كتاب الكهنوت لمار يوحنا فم الذهب الذي نشرهُ حديثًا بالطبع حضرة الاب قسطنطين الباشا . ومن كتاب برلام ويواصف المنسوب لمار يوحنا الدمشقي . وكذلك

اطلعنا حضرة القس جرجس منش على نسخة من مجموع رسائل بولس الراهب التي نشرناها في المشرق وعلى كتاب مُدرك النجاة ومحجّة الفوز بالحياة لمار طيماوثاوس اسحق مطران آمد . ومنهُ نسخة اتمّ واقدم في المكتبة المارونيّة

هذا بعض ما توفّقنا الى معاينته في الشهباء من التآليف القديمة . واما تآليف القرون المتأخرة فهي اكثر عدداً وسنوردها في مقالة اخرى ان شاء الله

وكان خروجنا من حلب في ٢ تشرين الاول شاكرين لله على ما حظينا بهِ في هذه الرحلة من مواجهة الفضلاء والاقتباس من انوار الادباء متمنّين للشهباء ان يجليها الله بمجلل الاكرام ويسبغ على اهلها شآبيب الانعام تحت ظلّ الحضرة الشاهانيّة اداما الله بالالطاف الالهيّة والخيرات السماويّة

رحلة

اول سائح شرقي الى امركة

(١٦٦٨ – ١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون ربّاط اليسوعي (تابع)

١٤ كيتو وضواحيها

ثم اني استقرّيتُ في دير رهبان مار عبد الاحد مقدار ساعتين فسمع حاكم هذا البلد عن قدومي وتولّي في الدير فخلّى سرايته وجاء سريعاً زارني وهو مغتاظ وعاتبني على ذلك. فقلت لهُ : « تعلم ياحبيبي ان الرهبان خرجوا لملاقاتي قناقين (١واتوا بي الى ديرهم . قل للرئيس وخذني الى سرايتك ». فما رضي الرئيس ان اطلع من الدير لكن تشارطوا مع بعضهم وفرضوا ان اكون طول النهار مع الحاكم واتغدى معهُ وفي الليل مع الرئيس وارقد في قلايتي انا وخادمي. لان هذا الحاكم المبارك كان رفيقاً معي من اسبانية وجئنا جملة في مركب واحد وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنتُ اوجّبهُ وصرنا اصحاباً بالصدق . وهذه البلدة حيث يسكن الاسقف هي غنيّة بالاموال ومزخرفة

١) قناق (قُونَق) كلمة تركيّة معناها نزل السفر او المرحلة بعد قطع السفر

بالكنائس والديورة · والاسقف المذكور كان غنياً جداً لكن عديم الكرم بخيلاً في العطاء . واما الماء الذي يشربونهُ في هذه البلدة فهو عاطل · فتجد اكثر الناس يصير لهم مثل غدة كبيرة نازلة تحت حلوقهم · ويسكن في هذه البلدة هنود وايضاً سبنيول فبقيتُ فيها شهرين · واما ذلك الضرس المذكور الذي كنتُ اخرجتهُ من عظام الجبابرة الذين بمغارة سانتا ايلينا فكان لرجل من اصحابي بنت في دير الراهبات فجاء تدخل عليَّ حتى يريهُ لبنتهِ · فانا طاوعتهُ كصاحب وسلّمتهُ الضرس فلمّا رأتهُ الراهبات فمن يد واحدة الى يد اخرى مَضيعوهُ (اخفوه) وما عدتُ وجدتهُ · ورمى اسقف البلد حرماً حتى يظهروهُ فما صار ذلك ممكناً · وكانت في هذا الدير راهبة في مرض تريف الدم ثماني سنين · فلما اضافني الاسقف عندهُ طلب مني ما هي منفعة الماء الذي يخرج من ذلك القصب المذكور اعلاه فقلتُ لهُ : انا قرأتُ في بعض الكتب وفهمت ان ماء القصب نافع للذين بهم تريف الدم · فطلب مني ان اهدي هذه الراهبة من ماء القصب فاهديتها وشربت منهُ سبعة ايام فبرئت من علتها · وايضاً رأيتهم يصنعون في هذا البلد جوخاً مثل جوخ اللوندرا (١ · وايضاً حكوا لنا عن جبل عندهم ان منهُ خرجت من مدة سنين نار كمثل الرعد واصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة محرقة وحذفتها بعيداً عن الجبل مقدار اربعين فرسخاً (٢

وذكروا لنا ايضاً ان من مدَّة سنين بينما كان احد الهنود يفلح الارض وجد ايقونة مريم العذراء مطمورة في الارض وهي عجيبة جداً في الرؤيا · فاخذها الى بيتهِ واخفاها في صندوق لهُ · فلما جاء ثاني يوم الى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فاعادها ثاني مرة الى بيتهِ · فثالث يوم جاء ايضاً ليفلح فوجدها هناك · ففعل كذلك عدَّة مرار وما

---

١) هو الجوخ العادي المصنوع اولاً في لندرا ثم في جنوبي فرنسة وقد اشتهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر معامل اللندوق (Languedoc) في فرنسة التي كانت توفد الى الاساكل الشرقية في كل سنة نحواً من خمسة عشر الف قطعة او ثوباً ثمن القطعة او الثوب مائتا فرنك . اطلب Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVII Siècle par Paul Masson

٢) هو جبل بيشنشا Pichincha وقد انفجر انفجاراً مهولاً سنة ١٦٦٠ فاحرق كل الضواحي

امكنهُ ان يضبطها في بيتهِ . ثمَّ انهُ اعلم بذلك اسقف البلد فخرج حينئذٍ الاسقف واستقبلها باكرام وأخذها بزياح الى مكان قريب من البلد وبنى لها كنيسة شريفة واسكنها هناك . وتسمَّى كنيسة مريم العذراء جكيكواه على اسم تلك الضيعة ويقصدونها من كل النواحي للزيارة . ولمَّا يحدث في هذه البلدة طاعون يأخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح الى بلد كيتو فتبقى عندهم تسعة أيام بكل اكرام ووقار وبواسطة هذه الشفيعة ينقطع الطاعون عن البلد . ثمَّ يرجعونها ايضاً بزياح الى كنيستها في الضيعة المذكورة

وايضاً ذكروا لنا ان خارجاً عن هذه البلدة درب اربعة وعشرين فرسخاً نهر يخرج من تلك الجبال . وعندما يزيد يرمي على الارض من قلب الجبل رملاً مخلوطاً بذهب . فهناك اناس يعرفون الزمن الذي ينقص فيه النهر فيذهبون ويغربلون النهر ويعزّلونهُ من الذهب فانا نويت ان ابصرهُ بعيني . فأشار عليَّ اناس ان لا اروح لان السلوك في هذا الدرب صعب جدًّا لاجل ذلك قصرت المسير اليه لكني اشتريتُ من ذلك الذهب في بلد كيتو

ثمَّ اني بعد ما بقيت في هذه البلدة شهرين خرجتُ قاصداً قرية تسمَّى اوطاوالو وفوق هذه القرية خيط يسمَّى في حكم الافلاك باللسان الفرنجي لينيا (Linea) (١ وتجد سكان هذه القرية عديمي اللون مورّمي البطون وذكروا انَّ في بعض الايام تسقط من الجو طيور ميتة . وهناك ما يوجد في غير ظل الاشجار والشمس دائمة لا تغيب . وايضاً ذكروا لنا ان خارج هذه البلدة كيتو بمقدار خمسة وعشرين فرسخاً يوجد هنود من الكفرة وهناك يروح قسوس يكرزون بايمان المسيح فاحضروا معهم من تلك الاراضي زهر اشجار القرفة . ولكن ما يوجد اناس يفهمون تربية هذا الدارصين واصلاحه مثل الدارصين الذي يجيءُ من هند الشرق لانهُ حادٌّ يحرق والهنود لا يريدون أن يكتشف عليه السبنيول حتى لا يأخذوا بلادهم . وايضاً ذكروا لنا انهُ يوجد هناك جوز الطيب والهنود يجمعونهُ وهو اخضر مثل الزيتون الكبير ويرسلونهُ الى كراكس (Caracas) وهناك يبيعونهُ للانكليز والاولنديز ولا للسبنيوليَّة . وايضاً في تلك الكورة دائماً صواعق وامطار شديدة

---

١) معنى لينيا الخط يريد بهِ خط الاستواء (Ligne de l'équateur) الذي ينصّف الكرة الارضية الى قسمين متساويين شمالاً وجنوباً

١٥ من كيتو الى كونكا – وصف عيد الثور

ومن هناك رجعتُ الى بلد كيتو ومنها خرجتُ قاصداً القرية لاتا كونكا (La Tacunga) ومن هناك الى قرية انبات (Hambato) التي تبعد عشرة فراسخ من كيتو. ومنها الى بلد تسمّى ريوبانبا (Riobamba) وهذه بلدة جميلة العمائر والطينة الكنائس واناسها اغنياء. وانا نزلتُ في دير مار عبد الاحد وقبلوني بفرح عظيم مع زائد الاكرام. وقدّستُ هناك. وعوائد قدّاس هذه الرهبنة تشاكل لبعض عوائد قدّاسنا فلهذا السبب انشرح خاطرهم عند استماع قدّاسي (١ وانا بعد ذلك بقيتُ هناك ثمانية أيام. ثمّ خرجتُ قاصداً بلدة تسمى كونكا (Cuenca) فبعد سبعة أيّام وصلنا اليها وكان دربنا جبالاً وثلوجاً وتسمّى هذه الجبال بارامو (Paramo) لشدّة البرد الذي هناك. ففي هذا الدرب يوجد نهر منحدر من الجبال التي يسكنها الهنود الكفرة فذكروا لنا ان من مدّة سنين كان اولئك الهنود قد عملوا لهم خمسة سنابك صغار وركبوا فيها وانحدروا الى أن وصلوا الى الدرب الذي يمرّ به التجار السبنيوليّة فبينما كانوا ذات يوم مجتازين من هناك ومحمّلين قفلاً من البضائع خرج عليهم الهنود المذكورون فترك اناس القفل احمالهم وانهزموا لخوفهم من القتل. ثمّ انّ الهنود فتحوا الاحمال واخذوا من البضائع الذي اختاروا وتركوا لهم عوضها اقراصاً من ذهب. فاتى أهل القفل واخذوا ذلك الذهب عوض متاعهم

وامّا انا فبعد وصولي الى هذا البلد كونكا المذكورة صار مزاجي ضعيفاً وبقيتُ مطروحاً في الفراش عشرة ايام معالجاً من الاطباء. لكن شافية المرضى مريم العذراء اعطتني العافية. وحاكم تلك البلدة كان صاحبي لانهُ كان رفيقنا في المركب لمّا سافرنا من اسبانية فاراد أن يعمل لي فرجة لاجل انشراحي وهذا المفترج يسمّونهُ في بلاد اسبانية عيد الثور ويلعبون على هذا النوع: اولاً يحوّطون ساحة برفوف وخشب ثمّ يضعون خوانات شيئاً فوق شيء. يعني كمثل الدرج ويجتمع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات ويستكرون كل واحد منهم لاجل الفرجة. وبعد ذلك يأتون الى تلك

---

٢) لرهبان مار عبد الاحد (الدومنكان) بعض طقوس قديمة في ليتورجية القداس خاصة بهم تتقرب من عوائد الشرقيين وهي لا تزال مرعية عندهم الى ايّامنا

الساحة بثور من الثيران البرّية الوحشية ويكون ذلك الثور مسجوناً · فعند ما يفلتونهُ على غفلة في تلك الساحة المحاطة بالناس يجري الثور جازعاً وما ينظر لهُ دربا ينفذ منهُ · فبعد ذلك يدخل اليهِ خيّال وفي يدهِ رمح ويتلاعب مع الثور والثور يهجم عليهِ فيهرب منهُ وبعد ذلك يقتل الثور · والثور ايضاً بعض احيان يقتل الفرس وفارسها بقوة قرونهِ وهذا العيد والمفترج في كل ملك اسبانية اعتادوا ان يصنعوهُ في موسمهِ كل عام

١٦ معادن الذهب

ومن بعد ذلك خرجتُ من هناك قاصداً قرية تسمّى خاوخا (١ فسرنا في صعوبة الامطار ليلاً مع نهار مقدار ثلاثة ايام ودخلنا الى خاوخا وبقيت هناك يوماً وليلة من شدّة البرد وكثرة الامطار وثاني يوم خرجتُ منها قاصداً الجبال التي هي معدن الذهب الى قرية تسمّى صارونا (Zaruma) فصرنا في درب عسر المجاز بين الجبال مقدار ثلاثة ايّام · ووصلتُ الى تلك القرية المذكورة وهي على راس جبل وحولها المعادن الذهبيّة · فنظرتُ جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة · اولاً يُطلعون الحجارة من المعدن ويسحقونها بطاحون الماء وحينئذٍ يغسلون ذلك التراب المسحوق ويقطعون منهُ الذهب بتصويلهِ في الماء · ثمَّ يذوّبونهُ ويسكبونهُ اقراصاً · وانا اشتريتُ من ذلك الذهب اربع مئة مثقال لان ما كان زمان شغل كل الطواحين · وبعد عشرة ايام اردتُ ارجع الى دربي لكن خوري تلك الضيعة قال لي ان يوجد درب آخر وهو احسن من دربك لكنّهُ درب قفر خالٍ من الناس والقرى فتحتاج أن تأخذ معك زوادة كفاية خمسة ايّام · فوقفتُ لشورهِ وطعتُ لقولهِ وحملتُ معي ما احتاج من الزوادة واخذتُ معي رفيقين اعني مكاريين الواحد منهما هندي والآخر مستيسو يعني ممزوج امهُ هنديّة وابوهُ اسبنيولي

١٧ اسفار واخطار

ثمَّ سرنا في درب غاطل بين الجبال يوماً وليلة · فاراد الشيطان ان يطغي ذلك المكاري المستيسو لانهُ كان قد نوى قتلي لكن الله تعالى كشف نيّته على يد خادمي

١) هكذا في الاصل واسم هذه المدينة في الخارطات التي بيدنا لوخا (Loja)

فاخذتُ منهُ السلاح وبقيتُ متحذرًا على روحي الى وقت ما وصلنا الى ثلاث قرى مقتربة لبعضها الواحدة تسمَّى باسيليكا والثانية جونجوناماه والثالثة واكاناما فلمَّا نظرني سكان هذه القرى الذين هم هنود تحيروا مني قائلين : كيف دخلت في هذه الدروب العسرة امَّا انك نبيٌّ او قدّيسٌ . وقسوسهم ايضًا هنود مثلهم لكن هنود تلك البلاد ليس لهم ذقون بل بعض شعرات ثابتة في حنكهم . وانا لاجل اني كنتُ رجلًا كامل اللحية فكانوا يتعجبون مني قائلين انني ذو شجاعة شديدة بحيث جزتُ تلك البلاد .

ثمَّ ثاني يوم خرجنا من هناك مسافرين وقاصدين قرية تسمَّى طابيه (Amotapé) فبينا ذات ليلة وانا نائم تحت الخيمة عمل رفيقاي الاثنان المذكوران ما بينهما شورًا وتدبيرًا على قتلي وانا كان معي صبيٌّ صغير من اولاد الهنود وكان يعرف اللسان السبنيولي وهذا الصبي قام في الليل والَّا سمع كيف انهما تشاورا على قتلي . فاسرع الصبي مرتعشًا اليَّ وفيقني واعلمني بذا الامر لكن بتوفيق الله تعالى انفرد تلك الليلة بغلٌ من البغال وظلَّ هاربًا بين الجبال . فاخذ رفيقي المستيسو المذكور يركض خلفهُ طول الليل ورجع به عند طلوع الشمس . فذلك الوقت اخذتُ منهما اسلحتها لان ما كان معي سلاح ومن خوفي من مكرهما اخذتُ السيف بيدي وناديتُ المستيسو وقلتُ لهُ : ابرك (١ على ركبتيك وأصدقني كيف طغاك الشيطان على هذا الفكر اعترف امامي بالصحيح . فاقرَّ معترفًا وطالبًا مني ان اغفر لـهُ واسامحهُ . ثمَّ بعد خمسة ايَّام وصلنا الى تلك القرية المذكورة . فمن قبل دخولنا الى القرية بين الاشجار هرب هذان الخائنان من خوفهما وتركا بغالهما فجاء خوري الضيعة واقتبلني باكرام . ثمَّ اني حكيتُ لهُ عن الاحوال التي عرضت فقال لي : الله نجاك من شرّهم لان اخي هكذا قتلوهُ في هـذا الدرب . وهذه القرية يجري بجانبها نهر يسمَّى نهر كولان (Fleuve Colan) وفيه سمك زائد وهو كنهر الدجلة . فذلك اليوم جزتُ هذا النهر ووصلتُ الى بلد يسمَّى كولان (Ville de Colan) كلهُ هنود . ثمَّ نزلتُ في بيت الخوري وكانت ليلة عيد مار يعقوب اخي الرب . فعزمني الخوري ان اقدّس ثاني يوم وكل النذر الذي يقـدَّم للخوري يكون لي انا . فقدّستُ ثاني يوم وحضر جميع الهنود تدّاسي وكان

---

١) اي اجلس وهي كلمة حلبية

عددهم اربعة آلاف نفر . وبعد خلوص القدّاس جلستُ على كرسي وعملتُ بركة اعني خبزًا مباركًا . فبقيَ النـاس يجيئون يبوسون يدي ويأخذون البركة ويرمون النذر في الصينيّة . فبعد خلوص ذلك نظرتُ اجتمع من النذر مقدار مائتين وخمسين غرشًا

١٨ مغارة الذهب في بيوره (Piura)

فبعد يومين كتبتُ الى حاكم بلد بيوره ان يرسـل لي تختروان الذي يسمّى بلسان السبنيولي ليتيرا (١ لان هذا الحاكم كان مرافقنا من اسبانية مع عيالهِ . ففي حال وصول مكتوبي اليهِ أرسل لي التختروان . لان في تلك الارض يصير تعب عظيم للذين يروحون راكبين الخيل بسبب الحر والرمل . فجزنا الى ميناء على ساحـل النهر يسمى بايتا (Payta) وهي بعيدة من كولان فرسخين ومنها سافرنا بالليل الى بلدة تسمّى بيوره درب اربعة عشر فرسخًا . فنزلتُ في دار الحاكم واقتبلني بزائد الاكرام . وهذه البلدة ساكنوها اسبانيولية مع هنود اغنياء وبها كنائس مزخرفة ومحتشمة

وذكروا لنا ان من مـدّة خمس عشرة سنة كان رجل من اشراف الهنود يسمى كاسيكي وكان غنيًا وما لهُ سوى بنت واحدة . فيومًا من الايام سافر ابوها الى غير بلد . فالبنت المذكورة نظرت رجلًا لابسًا ثيابًا حقيرة فقالت لهُ : ما بالك لابسًا هذه الثياب الدنيَّة . فاجابهـا قائلًا : لشدَّة فقري وعازتي . فاجابتهُ قائلة : ان كنت تكتم السر فانا اعطيك من الخيرات حتى ارضيك واغنيك . فقال لها : نعم هكذا يكون . فوعدتهُ هذه البنت ان لمَّا يجين الليل يجيءُ ينتظرها في المكان الفلاني فتأخذهُ الى مغارة ابيها التي هي خارج البلد ثمَّ انهـا اخذت ذلك الرجل بعد ان ربطت عينيه وقادتهُ الى المغارة المذكورة كضرير . فلمَّا وصلا الى المغارة حمّلتهُ من اقراص الذهب على قدر مـا يقدر حمله ورجعت الى قرب البلد وفكت الرباط عن عينيهِ واطلقتهُ بسبيلهِ . فلمَّا جاء ابوها من سفرهِ قصد ذات يوم المسير الى المغارة ونظر في باب المغارة اصل دوسة مداس فعلم ان ذلك الكشف صار من بنتهِ فسقاها سمًّا وماتت وهو ايضًا مات على غفلة والى اليوم يستقرون المغارة وما قدروا ان يلاقوها

---

١) Litera وبالفرنسويَّة Litière وتختروان كلمة فارسية مركَّبة من لفظتين معناها سرير

١٩ من بايتا الى طروخيلو

وبعد أن مكثتُ هنـاك عشرة ايّام خرجتُ قاصداً قرية تسمى ليلموا فسرتا في درب مقفر عديم المـاء وكلهُ رمل مثل ارض مصر وكل أهل هذه القرية هنود لكن قسيسهم فقط اسبنيولي فالبعض منهم نصارى حقيقيون والبقيَّة نصارى من خوفهم. وثاني يوم خرجتُ قاصداً بلدة للهنود تسمَّى لمبايك (Lombayeque) وهذه البلدة كبيرة يسكنها هنود اغنياء وبعض من السبنيولية. فعزمني وكيل الاسقف الذي هناك الى داره وطلب مني ان اقدّس يوم الاحد واكرز على الهنود باللسـان السبنيولي. فقدست نهـار الاحد وكرزت عليهم وكان في الكنيسة خمسة وثلاثون قسيساً ومقدار ثلاثة الاف نفس من العوام فصار لهم انشراح عظيم من تلك الكرزة وكانوا يتعجبون مني بسبب الذقن وتغيير الثياب وكانوا كلهم يكرموني ويتباركون مني لاني وهبتُ لهم مسابح وصلباناً من القدس. ثمَّ بعد خمسة ايام خرجتُ من هناك قاصداً بلدة تسمى سانيا (Sagna) وهذه بلدة كبيرة يسكنها هنود واسبنيول. وفي جانب هذه البلدة يسلك نهر كبير وكنتُ اسافر في الليل لشدة الحر وانا راكب في ليتيرا اعني تختروانا

فذات ليلة تغافل المكاري ونعس فضلّ البغال عن الدرب ودخلت في الحرش بين الاشجار وهذا الحرش داخلهُ عظيم لا لـهُ اول ولا آخر. فلمَّا فقت على ذلك امرت خدَّامي ان ننزل هناك لئلا نتيه ازيد عن الدرب ونهلك مثلما جرى لآخرين. فلمَّا صار الصبح قلتُ للمكاري الهندي ان يعمل ناراً كثيرة ودخاناً عظيماً. فامَّا رفقاتنـا فكانوا سبقوني الى المنزل. فلمَّا نظروا اننـا تعوَّقنا علموا اننا تهنا عن الدرب فارسلوا اناساً ليفتشوا علينا. فانا قلت للمكاري ان يصعد الى راس شجرة عالية وينشر علماً ابيض يعني بيرقاً فثاني يوم قريب نصف النهار وصل الينا اولئك المفتشون فرأونا هناك على نيشان ذلك البيرق واغتاظوا على المكاري كيف انهُ حاد عن الدرب. واكثر اشجار ذلك الحرش من اشجار القطن ما لهم اصحاب وهو خشن جداً قدر الرمان وحبهُ قوي صغير لكن شعرة هذا القطن طويلة كالصوف وكل من يريد من الهنود يروح يأخذ قطناً على قدر حاجتهِ. وينسجون منهُ مبازر للنساء وغيرها من الحوائج اللازمـة. فوصلنا بعد يومين الى البلد المذكور الذي يسكنـهُ اسبنيول وهنود وحاكمهم يسمى

جنرال . فبقيتُ هناك اربعة أيام بعز واكرام من الجنرال ومن وكيل الاسقف . ثمَّ خرجتُ من هناك قاصداً بلداً يسمى طروخيلو (Trujillo) فسرنا درب عشرة أيام وهو درب عسر قليل المنازل وعديم المعاش وكنتُ قد اخذتُ معي ما اعتاز اليه من قسم الأكل والشرب وكان لي حصان وبغلة يدك (١ لئلا يكون الوقت برودة كنتُ اركب عليها واذا وغلت وتعبت من الركب كنتُ ادخل الى التختروان . فجزتُ الى هذه البلدة المذكورة وهي كبيرة يسكنها اسقف وكان حينئذٍ الاسقف قد توفي وبقي الكرسي خالياً . وفي هذه البلدة رهبان من رهبنة مار افرنسيس ورهبنة مار اغناطيوس اليسوعية وايضاً قسوس وخوارنة جميعهم مقدار الفي كاهن . فعزمني رهبان مار افرنسيس ان اقدس عندهم وكان نهار عيد مار افرنسيس الذي دائماً يحكيم في ٤ تشرين الاول . فرحتُ قدّستُ هناك فكانت الكنيسة ملآنة من الناس . فانشرحوا كثيراً من قداسي لان كان معي الة القداس والبدلة التي كان انعم عليَّ بها سيدنا البابا . وكان نيشانهُ وختمهُ مرسوماً عليها . وكان الناس يأتون ويتباركون منها

٣٠ السفر الى ليما

فمن بعد أن بقيت في هذه البلدة عشرة أيام رجعتُ قاصداً بلد خاماركا (Cajamarca) التي هي في راس جبل وكان يسكنها ملك الهنود الذي كان يسمى اينكارسوف . وسنتكلم عن خبر هذا الملك العظيم . فبقيت هناك ثلاثة ايام واروني كل ما صار على هذا الملك وكيف قتلهُ الاسبنيولية . واليوم الرابع خرجتُ من هذا البلد قاصداً بلدة ليما (Lima) حيث يسكن وزير الملك الذي يحكم على تلك البلاد فنزلتُ من الجبل قاصداً البلدة المذكورة ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى نهر يسمى ساتنا (Santa) . فهذا النهر زائد الماء وما لهُ مجاز فيجوزونهُ بشدَّة وخوف . لان الهنود اخترعوا شيئاً للمجاز يسمى بالصا (Balsa) يعني كلكاً فيجمعون قرعات يابسات ويربطونها ببعضها مثل كلك ثمَّ يحملون عليها خشباً وفوق الخشب حشيشاً مثل عروق الشجر ويحملون الاحمال عليها ويفوّتون الناس من جانب الى جانب . والدواب تقطعهُ سباحة بالماء . فجزنا هذا النهر بخشوع وطلبات الى الله ووالدتهِ مريم العذراء ومن هناك بقينا مسافرين وجزنا على

---

١) يدك كلمة تركية يراد بها دابة ثانية يستعملها الخيال عند الحاجة

اراضي قصب السكر وعلى المعامل التي فيها يشتغلون الجوخ . وكان في رفقتي رجلان فقيران كل واحد ناقصة لهُ يد . فالاول كان جنديًا وانقطعت يدهُ بالحرب مع الهنود والاخر كان لدغتهُ حيَّة في يدهِ فقطعوها لهُ

٣١ الاقامة في ليما

فمن بعد ثمانية أيام وصلنا الى مدينة ليما (Lima) المذكورة ونزلت في بيت الانكيجيدور (Inquisidor) اعني رئيس ديوان الايمان لانهُ كان صاحبي من اسبانية . وكنت دَيَّنتهُ الف واربعماية غرش في مدينة بورتوبلو فاعطاني فائدة عن كل ماية غرش اربعين غرشًا مثل ما يسلك بين التجار في تلك البلاد . ثم بعد ان ارتحت من تعب الدرب رحتُ قابلت الوزير وقدمت لهُ امر الملك ومكاتيب الوصيَّة التي احضرتها معي من اسبانية . وهذا الوزير كان رجلًا مباركًا اسمهُ دون بغدسار وبلاكوكونده ده كستيليارو مركيز ده ماراكون من اكابر اسبانية . فقبلني بفرح عظيم ووعدني انهُ يساعدني في جميع الذي اعتازهُ . ثم اني دخلت زرت امرأتهُ فاتقبلتني ايضًا بالاكرام . وهذا الوزير المبارك كان قد تزوج منذ اربع عشرة سنة وما رُزق ولدًا وسنأتي بعد هذا بحكايتهِ . ثم اني رجعت فزرتُ كبير الكهنة الذي يسمَّى ارشيدياقون مع جملة ارفاقهِ الكهنة لمَّا كانوا مجتمعين في الكنيسة للصلاة . واما مطران هذه البلدة فكان قد توفي وبقي الكرسي خاليًا من مطران . ولهذه المطرنة مدخول في كل سنة خمسين الف غرش وتحت يدهِ مائة وعشرون خوريًا وكانوا منتظرين المطران الجديد الذي كان آتيًا من اسبانية . وبعد ان بقيت في هذه البلدة عشرين يومًا وقعتُ مريضًا في الفراش بمرض شديد وكان حكماء الوزير يعالجونني . فشفاني الرب من مرضي بعد عشرين يومًا بشفاعة ام الرحمة مريم العذراء . فقمتُ ورحت عند الوزير وتلاقيت معهُ ثاني مرة فقبلني بفرح وعز واكرام . ولمَّا كنت مريضًا كان يرسل عندي خزنداره يزورني مع احمال من الحلاويات المفتخرة وكان يسأل عن حالي كل يوم مرتين . وفي ذلك الحين جاء رجل من اصحاب المعادن وقال للوزير انهُ يقدر يستخرج الفضة من الحجر من غير ان يضيف اليها زيبقًا . فلمَّا امتحنوا صنعتهُ وجدوها اختراعًا كاذبًا . وانا كنت حاضرًا ونظرت ذلك عيانًا

وقبل ان تلك السينيولسة هذه البلاد ما كان احد يعرف الالـه الحقيقي وكان البعض يعبدون الاصنام والبعض كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم ومـا كان لهم احرف ولا كانوا يعرفون القراءة والكتابة · لكن لمَّا يريدون ان يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكاوتهم · وكان في زمان فتح هذه البلاد ملكان اخوان الواحد يسمى وداواليا والاخر يسمى وسكارانيكا · وكان بينهما الحرب وكانت آلة سلاحهم وعدتهم القوس والسهـام ورماح ومقاليع لحذف الحجارة · وما كان لهم مواشي اعني مثل افراس وبغال وحمير ولا ثيران ولا بقر ولا غنم ولا دجاج سوى جنس حيوان شبه الجمل بقدر الحمار وحدبةٌ في صدره يحملون عليـهِ ويأكلون لحمهُ لكنهُ ما يسافر بعيدًا · وكل يوم قناقـةُ اربعة فراسخ لا غيرفلمَّا يتعب ينام ويزيد ويثقل على اصحابهِ · وهؤلاء الهنود لمَّا كان يموت احد منهم كانوا يصنعون لـهُ قبرًا عاليًا علو ذراعين وطول ثلاثة اذرع وكانوا يضعون في قبرهِ آلة صنعتهِ مع شربـة من خمر الذرة

٢٣ وصف ليما

وفي هـذه البلدة يصير زلازل كثيرة وشديدة · ثم ان الوزير وعدني ان يقف بخدمتي طول ما انا بالهند · وكتب الى جملة البلاد والقرى التي تحت حكمهِ يوصيهم عليَّ بالاكرام · وفي ليما عدَّة ديورة وكنائس اولها الكنيسـة الكبيرة التي هي كرسي المطران وغيركنائس للقسوس واربعة ديورة لرهبان مار افرنسيس وثلاثة ديورة لرهبان مار اغستينوس وثلاثة ديورة لليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان المرسي (Merci) واربعة ديورة للراهبات وفي كل دير يسكن الف راهبة (١) وايضًا اربعة ديورة لراهبات الفقراء مثل ايتام وارامل ومنقطعين وديران باسم مار يوحنا لمداواة المرضى اي الغرباء والفقراء واسبيتال يعني مارستانًا كبيرًا على اسم الملك لان الملك يصرف عليه ويسمى مار اندراوس وكانوا يعزمونني لاقدّس في الكنايس والديورة ويكرمونني غاية الاكرام وبقيت في هذه البلدة مقدار سنة في بيت رئيس ديوان الاعيان المذكور اعلاه يسمى دون خوان باتيستا ديلا كانترا يعني يوحنا المعمدان من بلد كانترا · وهذا المبارك كان رجلًا كاهنًا وما اراد ان اصرف شيئًا على المأكول والمشروب · وهذه البلدة غالية المعاش بهذا المقدار حتى

١) مبالغة او خطأ من الناقل

ان الدجاجة تساوي غرشاً ونصف غرش. وبعد اني تعافيت من مرضي زارني جميع رفقة الكهنة الذي يسمى كبيلدو (Cabildo) (١ يعني ديوان الكنيسة من حيث اخذوني في الرفقة الى الكنيسة بالزياح وعند دخولنا للكنيسة حيث يمكث المطران والخوارنة اجلسوني جانب كرسي الارشيدياقون الذي بجانب كرسي المطران اكراماً لي. ثم طلبوا مني ان اقدس فارسلت واحضرت من الدار آلة القداس فقدست لهم قدّاساً باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي . فثاني يوم صنعوا ديواناً باياتهم (مع بعضهم) وارسلوا اليَّ الف غرش وكذلك ايضاً في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون اليّ شيئاً كثيراً واما كان لي عجلة يعني عرباني (٢ باربعة بغال مع عبد اسود خادمها (له تتمة)

المعادن في لبنان

نظر للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي

ثانياً المواد المعدنية

ليس للبحث في هذا الموضوع مجالٌ واسع وما نورده في هذا الفصل دون ما قدّمناه في فصل الوقود

فلنباشرنَّ بالحديد ولولا مخافة الالتباس لسمَّيناهُ سيّد المعادن بدلاً من الذهب الذي خُصَّ بهذه التسمية على غير حق . نعم ان الحديد من حيث اللمعان الظاهر والقيمة المجرَّدة اقلُّ قدراً من بقيّة المعادن كالذهب والفضة والنحاس والزيبق وغيرها لكنهُ اكثر منها انتشاراً في الكون واعظم منها فائدةً للانسانية ولا يضاهيهِ في ذلك الَّا الفحم الحجري الذي يشبههُ بسواد لونهِ وقلة نضارتهِ

ولقد يتبادر الى الذهن ان اغنى البلادِ مالًا واوسعها اتّجاراً واقدرها صناعةً هي البلاد التي توفَّرت فيها معادن الذهب ومناجم الالماس والصحيح ان اغنى بلاد الله هي ما كثُرت بها معادن الحديد ومناجم الفحم الحجري. فالمعادن الثمينة انما ينتفع منها بعض الخاصَّة المُنعَم بها عليهم فتفيدهم زهواً وتزيدهم لهواً وان توارت عن وجه المعمور فلا

١) وبلافرنسية (Chapitre) ٢) اي مركبة

يلحق بالانسان ضررٌ كبيرٌ بل يتخلَّص من اكبر مهيّج للاهواء البشريَّة . امَّا فقد الحديد فيُحدث في الهيئة الاجتماعيَّة اضطراباً شديداً وفي اعمال الصناعة اختلالاً عظيماً ويكفي لاثبات ذلك ان الزراعة التي هي اهمّ الحرف واوجب الصناعات لا قيام لها بدونهِ

فان كان حقُّ التقدُّم لِمستحقيه بما يؤدون من الخدم الجليلة فليس بين المعادن من يستحقّ التقدُّم والسيادة نظير الحديد

ولقد اعتاد شعراء اليونان واللاتين الاقدمين ان يختصروا تاريخ العالم ويقسمونهُ الى ثلاثة اطوار ملقبين كلَّ طور باسم معدن فيدعون الاوَّل والاقدم بالعصر الذهبي والثاني بالفضيّ والثالث بالحديديّ فلم يؤيد الاختبار تمام التأييد اعتقاد الشعراء ولا حقَّق التاريخ امانيهم لاسترسالهم الى مخيَّلتهم الساعية وراء الصور اللامعة والتشابيه الساطعة غير مبالين بتطبيقها تطبيقاً كاملاً على الحقيقة الراهنة

على اننا لو نظرنا الى استعمال الحديد المتعدّد ونموّهِ المتواصل الى حدّ انهُ كاد يقوم مقام كثيرٍ من المواد كالخشب والحجر لتجرَّأنا ان نسمّي عصرنا العصر الحديديّ ومن هذا الوجه يكون قد سبق الشعراء فعرفوا المستقبل وهم لا يدرون . لكنَّهم لم يدركوا ان الحديد يمشي مع التمدُّن قدماً على قدم ويسير كتفاً لكتف مع النجاح الذي لا يكون بسواه . وما لا يُنكر ان اكثر الاشياء استعمالاً واعظمها نجاحاً الحديد والورق فالورق وهو أرق الاشياء والحديد وهو اصلبها كانا العاملين العظيمين المساعدين على التقدّم والنجاح ادبيّاً ومادياً — نعني النجاح بالنسبة والتقييد لا على الاطلاق نريد النجاح الذي احتجَّ عليهِ الشعراء الاقدمون كما يفعل اليوم اصحاب الفنون الجميلة وطالبو الحسن المعقول . ثمَّ ان للحديد شبهاً بالعصر العمليّ الذي نما بهِ نموّهُ الغريب اي كثرة الفوائد على قلَّة المحاسن . فحيثما اعتدى الحديد على الخشب والحجر وحرمهما حقهما ما امكنهُ ان يقوم مقامهما في مقامات الفنون الجميلة فهو الخادم الذي لا بُدَّ منهُ وان قلَّت ظرافتهُ بازاء الجاذب الفتَّان وهو انَّما يُحَبُّ لفائدتهِ لا لملاحتهِ

على انَّ في عصرنا الحاضر لا يحلّ شيءٌ محلّ الفائدة . فحبّ الانتفاع عمل على انتشار الحديد ونموّ الصناعة والتجارة وهذان القرعان قد اصبحا من اعظم العوامل في انفاذ الحديد . فمن قبل مائة سنة لم تكن المراكب والآلات والسكك الحديديَّة ولوازم الطوبجية فان كلَّ هذه لم يكن يُعتدّ بها بالنسبة الى العصر الحاضر ثمَّ اضحت

آخرًا الزراعة وصناعة البناء من اعظم «أكلة» هذا المعدن. وقصارى الكلام انهُ أيسر علينا ان نعدّد حاجاتنا الى الحديد من ان نبين الحدّ الذي تقف عندهُ تلك الحاجات. فهذه التفاصيل توضح لنا على الاقل عظم شأنهِ فترى اننا لم نُعرها التفاتنا عبثًا

*

امّا معدن الحديد فهو لحسن الحظ كثيرٌ في قضض لبنان واتربتهِ ويشاهد في طبقاتٍ تتركَّب من حبّات متلزّجة كبيض السمك أو كالعدس او الحمّص المتحجر. وقد يُرى احيانًا مختلطًا ومحصورًا في كتلات كلسيّة او في مادَّة معدنيّة معروفة باسم سپاث (Spath). وهذه المواد غنيَّة بمعدنها غزيرة (١ لان كميَّة الحديد فيها من ٥٠ الى ٦٠ بالمائة ومن هذا الوجه لا يدانيهِ الّا معدن «مقطع الحديد» في جزائر الغرب اذ تصل كمية الحديد فيهِ الى ٦٥ بالمائة

وهذا المعدن منتشر في اكثر انحاء لبنان وعلى سطح الجبال وفي بطن الوديان سيما في اقضية البترون وكسروان والمتن وقد استُثمِرَ منذ الازمنة العريقة في القدم كما ثبتهُ فيما بعد وكما يلوح من عُرَم الخبثِ والغسالة المنتثرة في كثير من انحاء الجبل. ونخصُّ بالذكر جهات عكّار ودوما وبيت شباب والشغرة والفرزل واودية المجاري النهرية مثل نهر الكلب ونهر ابرهيم. فمن هذه المعادن كانت تؤخذ موادّ المسابك والمعامل الحديديَّة القائمة في تلك الانحاء ولبثت هذه المعامل مستعملة الى اوائل العصر المنصرم

وممّا يزيد اهميَّة المعادن اللبنانية فضلًا عن غزارتها وغناها جودة مادّتها فانها تعطي اجود الحديد الذي يُتَّخذ منهُ افضل الفولاذ واصلحهُ لادقّ الاعمال وارقها كالآلات والمدافع وتصفيح المراكب وقد اشتهر حديد لبنان بلدونتهِ ومرونتهِ ولا يبعد انَّ منهُ كانت تُعمل اسلحة دمشق الطائرة الشهرة كالسيوف الشاميَّة التي طالما أُغرم بها العارفون واثنى عليها المولعون وقد فُقد اليوم سرّ اصطناعها. ولمّا دخل الحديد الغريب الى لبنان في الجيل الماضي كانت الافضليّة للحديد اللبناني في عمل اتصال الدولاب وصناعة المسامير وما شاكل ذلك

على انَّ معادن لبنان على غزارة مادّتها وجودتها لا تُجدي نفعًا معتبرًا لقلة الذرائع

---

١) ان معدن الحديد يعتبر غنيًّا اذا كانت كميَّة الحديد فيهِ تتجاوز ٤٠ في المائة

في استثمارها اذ ليس من وقود لتشغيل المسابك وقد مرَّ بك آنفاً ان لا وجود للفحم الحجري في لبنان غير أنهُ يمكن الاستعاضة عنهُ بالخشب كما كانوا يصنعون قديماً وذلك كان من اعظم البواعث على اتلاف الاحراج في لبنان وهاك بيانهُ :

فقديماً وقبل اكتشاف الفحم الحجري كانت تُعالج معادن الحديد بالحطب في لبنان كما في اوروبة. فانهم كانوا يوقدون الحطب في المواقد المدَّة لتذويب الحديد وصبِّهِ. وبعد الحساب وجدوا انه يلزم مائة كيلو من الحطب للحصول على ١٧ كيلو من فحم الحطب ويجب احراق مائة كيلو من الفحم لسبك ٣٤ كيلو من الحديد وذلك كناية عن اتلاف ١٧٠٠ كيلو من الحطب لاستغلال ١٠٠ كيلو من الحديد. وكان المسبك الواحد يستغرق من الحطب ما تغلُّهُ سنويًا مساحة ٢٠٠٠ هيكتار من الاحراج (١ فعلى ذلك لم تكن لتكفي اوسع الاملاك – الّا ان حركة المعامل كانت اذ ذاك خفيفة لان الحاجة الى الحديد لم تكن شيئاً بالنسبة الى العصر الحاضر فالكور القديم كان يصب من ١٠٠٠ الى ١,٥٠٠ كيلو يوميًا امَّا الان فانهُ يسبك في اليوم زهاء ١٢٥,٠٠٠ كيلو وفي بعض المعامل يعمل ثمانية او تسعة كوار. فاذا اتضح ذلك ظهر جليًا الضرر الجسيم اللاحق بشجر لبنان والناجم عن مسابك الحديد القديمة وعرفتَ ان لا سبيل للانتفاع من معادن الجبل الحديديَّة على كثرتها ووفرة مادتها

ولا سبيل ايضاً لصبّ هذه المعادن والاعتناء بها بنفقات قليلة الّا باستحضار الذرائع الموجودة في اعظم البلاد الصناعيَّة نظير انكلترة وبلجكة. اعني بوجود مناجم فحم حجري قريباً من معادن الحديد وقد عرفت ممَّا مرَّ بك أن لا وجود لهذه المناجم في لبنان ولا يَسدُّ هذا الخلل استجلاب الفحم الحجري من الخارج لما يستلزم من النفقات الباهظة

فعليه لا يستطيع لبنان مباراة البلاد الاجنبية في معادن الحديد مع سهولة استخراجها وجودة صنتها – لذلك نرى مسبك لبنان الوحيد في بيت شباب مضطراً الى استعمال الحديد الاجنبي. ولا مناص من هذا الاضطرار الّا باستعمال المياه كقوَّة محرّكة في معالجة المعادن ولا يمكن ذلك الّا حيث المعادن قريبة من مجاري المياه

(١) راجع كتاب Vicomte G. d'Avenel: *Le mécanisme de la vie moderne*

والينابيع القويّة كما في وادي نهر الكلب وفي جوار ميروبا فهناك المعادن الجيّدة

ومما يزيد الاسف أنّ لبنان لا يمكن ان يستعيض عن استثمار الحديد باستخراج غيره من المعادن اذ لا وجود لها . فاننا لا نتكلّم عن الذهب والفضة اللذين ذكرهما بعض الكتبة ممّن لا يتروّون في الامور ولا ينقبون في المباحث فقد اكّدوا وجودهما في لبنان بجانب غيرهما من المعادن كالنحاس والتوتيا (١

فلا حاجة لنا بنقض هذه المزاعم التي لا صحّة لها ولا سند . ولقد تباهى غيرهم باكتشاف مناجم الزيبق في لبنان (٢ فالزيبق معدن ثمين (٣ واستثماره يعود على الجبل بفائدة عظمى الّا انّ هنا ايضاً تغلّب الوهم على الحقيقة فبهرت الاعين بدلائل وهميّة كاذبة . فالزيبق المكتشف وُجد بكميّة زهيدة في موضعين بجانب السكة الحديديّة من بيروت الى الشام اعني في عين صوفر وعين مشرع فقد كان ذلك بلا ريب موضع المعامل القديمة ايّام مدّ السكة وما الزيبق المكتشف الّا كميّات وقعت من آلات المهندسين . ولقد سمعنا حديثاً باكتشاف معدن نحاس في المتن الاعلى . فهذه الاكتشافات لا تستلفت الانظار لعدم كفاءة اصحابها فعلينا ان ننتظر حكم رجال الخبرة وفحص السماطر . ونحن نتمنّى ان يكون ذلك صحيحاً وليتنا نستطيع تكذيب الدكتور لورتة (٤ القائل ان ليس في لبنان من المعادن ما يُعتدّ به

ثالثاً الحجارة ولوازم البناء

ان الحجارة كثيرة في لبنان ويمكن استثمارها طويلًا ونقلها الى البلاد الاجنبيّة

ولقد تأخذ الغريبَ الدهشة اذ يطوف لبنان ويسرّح نظرهُ في حجارة ابنيتهِ فهذه الحجارة الجميلة سواء كانت منحوتة او غير منحوتة تجعل لابسط المساكن هيئةً جليّةً لا يألفها السائح الّا في قصور وطنهِ فباعتناء قليل يستحكم البناء ويحصل لهُ هيئة صلابة ومكانة تزدري بكرور الاجيال . ولحسن الحظ ليست الصلابة بالظاهر فقط بل

---

١) راجع كتاب فضل الله فارس ابي حلقه : جغرافية سوريا وفلسطين (ص ٢٣١)

٢) راجع الرسالة المبعوثة الى البشير (في ٢٣ ايلول سنة ١٩٠١)

٣) راجع المشرق (٤ : ٨٨٧ – ٨٩١)

٤) راجع كتاب – الدول الاجنبيّة – المقدمة ص ١٩

بالحقيقة ايضاً فقلّما نرى على سطح المعمور بلداً فيه ما في لبنان من لوازم البناء بكثرتها وحسنها وصلابتها . فلا طاقة للرطوبة ولعوامل الجو الاخرى على اتلافها . فهذه الحجارة الكلسيّة لها تقاطيع زجاجية في المواضع المنحوتة حديثاً ولونها ابيض كامد وقد يتحوّل على مرور الزمان بفعل اشعّة الشمس الى شيء من الصفرة الذهبيّة

امّا في منحدرات الجبل السفلى وعلى الشواطئ البحريّة فتكثر مقالع الحجارة الرملية وهذا الصنف لونهُ اصفر وحجرهُ جيّد صالح للبنيان وكل المحلات العامرة والاماكن الآهلة بالسكان من صور الى طرابلس مبنيّة بحجره . ومن خواصه انهُ سريع التفتت سهل النحت لدى خروجهِ من المقلع فيتصلّب في الهواء ويصلح للملاط اكثر من الحجارة الكلسيّة الجميلة المقتلعة داخل الجبل

والحجر الرملي مثقوب غالباً بثقب طويلة اسطوانية ضيّقة على شكل لولب كانها صنع الخرز وربّما كان ذلك من قرض الهوام الحجريّة (١ مدّة الاطوار الاولى الجيولوجيّة . وقد فات هذا الشرح فهم رينان فذهب فيه مذهباً غريباً فانّ اكثر مدافن جبيل محفورة في هذا الحجر فلمّا كان رينان يفحصها شاهد ثقوباً اسطوانيّة في قبّة القبور القديمة فتوهّم تعليلاً لوجودها أنّ الاقدمين كانوا يلجأُون قبل حفر المدافن الى سبر الحجر لقصد امتحانه (٢

على انّهُ ليس بوسعنا ان نعدّد بالتفاصيل كلّ ما في لبنان من مواد البناء على وفرة اصنافها ولا يسعنا إلّا ان نذكر انواع الحجارة الجميلة الممتازة بكثافتها وصلابتها فانها تُستعمل للاعمدة وللدرج وعتبات الابواب واسكفّاتها الى غير ذلك من الاعمال المعتبرة كرصيف المرافئ اذ ان امتداد طرق العربات في لبنان يسهّل نقلها الى البحر . ومن اصناف الحجر الجيّد ما يستخرج من المقالع الموجودة في اسفل قرنة شهوان وبيت مري بالقرب من دير مار روكس وفي غير مواضع

واينما سرتَ من الجبل ترى من الحجارة الصالحة للتبليط والتلبيس وحجارة لعمل الكلس والرحى امّا البلور فهو كثيرٌ في لبنان . وبعكس ذلك الرخام فهو نادر الوجود في الجبل وليس من الصنف الجيّد اللهمّ اذا استثنينا بلاد الجبّة فانّ فيها مقالع رخام صالحة

١) راجع Dawson: *Egypt and Syria*, 79

٢) راجع آثار لبنان ج ١ ص ٦٥ و ٦٦

للصقل والجلي الحسن ونذكر اننا شاهدنا امثلةً منها في بعض بيوت اهدن القديمة وكذلك في الديمان في الكرسي البطريركي الجديد . . ومما يستحق الذكر مقالع الرخام الموجودة في جهور ودير القلعة فرخامها ذو عروق حمراء (١ وفي دير القامعة ايضاً حجر صلب معتبر وفي تحوم في قضاء البترون مقالع حجرها صلب لونهُ ابيض يجملهُ الصقل لامعاً كالرخام ويوخذ منهُ البلاط المصقول والاعمدة الصغيرة اللامعة (شمعات) امَّا الرخام الابيض الجميل من صنف رخام ايطالية والرخام السمَّاقي وحجر الصوَّان فلا وجود لها في لبنان . امَّا ما يُشاهد في المدن الفينيقيَّة القديمة من اعمدة الصوَّان مثل جبيل الحاوية على عدد وافر منها فانَّها منقولة من مصر

على أنَّ حجارة لبنان لم تكن تستعمل الى السنين الاخيرة إلَّا في محلها والمدن المجاورة نظير بيروت وقد راجت السوق فيها رواجاً عظيماً ومن بضع سنوات باشرت مصر بأخذ لوازم البناء من لبنان لندرة الحجر فيها وقلَّة صلاحيَّتهِ كما ان الامر جارٍ في مقالع لبنان القريبة من البحر مثل نهر الكلب والعاملتين فان المراكب تستطيع ان تصل اليها وتشحنها بأقل نفقة أمَّا المقالع البعيدة فالوسيلة لنقل صادراتها ان تكون من الصنف الاعلى كمقالع قرنة شهوان ومار روكس ودير القلعة وغيرها فانها تُطلب الى البلاد الاجنبية وما من مانع يحول دون اتِّساع تجارتها اذ ان امتداد طرقات العربات في لبنان يسهّل كثيرًا طرائق ايصالها الى البحر . وقد أخذت شركة ترعة السويس على ما نظن حجارة من لبنان لتوسيع احواض بور سعيد فكان العمل مرضياً والاقتصاد حسناً

فكل هذا يدعو الى التنشيط ويحمل على مواصلة العمل للانتفاع من حجارة لبنان ولا يخامرنا ريب أنَّ مقالع لبنان لم تُكتشف جميعها سيَّما مقالع الحجر الحسنى والرخام العادي فاذا اتَّسع نطاق هذه الصنعة عادت بالفائدة على كثيرين من الفعلة كعملة المقالع والنحَّاتين فتسد مسد المعادن المفقودة من لبنان (لهُ تتمَّة)

---

١) فمن مقلع دير القلعة اعمدة الكاتدرائية المارونيَّة وكنيسة كلبنا

دين امرئ القَيْس الشاعر الجاهليّ

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرمليّ (تتمَّة)

ومن ادلّتهم ايضاً رادّين على القائلين بنصرانيَّة امرئ القيس انهُ كان كنديًّا . « ولم يرد فيما نقلوهُ ان النصرانيَّة كانت في كندة (؟!!!) بل الذي ذكرهُ التوحيدي ان كندة كانت فيها اليهوديَّة » فكيف يكون امرؤ القيس نصرانيًّا .

قلنا : فالنتيجة تكون اذن كان يهوديًّا الّا ان المعترض يقول مع ذلك انهُ كان وثنيًّا وهو من الغرابة بمكان . وعليهِ فكيف يجمع بين هاتين القضيَّتين . اللهمَّ الّا ان يقول ان في كندة كان غير اليهوديَّة وهو عين الحق والصدق لان هذه القبيلة قبيلة عظيمة تشمل عدَّة بطون واحياء وكان فيها الوثنيَّة واليهوديَّة والنصرانيَّة والمجوسيَّة والمزدكيَّة والصابئية والدهريَّة الى غير ذلك . ولم تكن ابدًا على دين واحد . امَّا ان النصرانيَّة كانت في كندة فالشواهد على ذلك كثيرة منها ما ذكرهُ صاحب كتاب الخراج ص ٨٦ قال ما هذا نصُّهُ :

ثمَّ بعثَ (اي خالد بن الوليد) سَعْدَ بنَ عمرٍو الانصاريَّ في جمع من المسلمين حتى انتهى الى صندوديا وفيها قومٌ من كندة ومن اياد فحاصرهم اشدَّ الحصار ثمَّ صالحهم على جزيةٍ يؤدُّونها اليهِ وأسلم من أسلم منهم » اه

وقال ابن خلدون (٢ : ٢٤٩) : « وكان لقضاعة مُلكٌ آخر في كلب بن وبرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيَّة » اه

وامَّا من ذُكر من مشاهير كندة فمنهم جُحيَّة بن المُضَرِّب الكنديّ الشاعر النصراني قال صاحب الاغاني (٢١ : ١٦) : « وكان نصرانيًّا » وممَّن اشتهر من نصارى كندة عبد المسيح بن اسحق الكندي (١

هذا وانا وان كنَّا رددنا على حجج بعض المخالفين لنصرانيَّة امرئ القيس فلا

١) ولهُ رسالة يؤكد فيها بان النصرانيَّة كانت غالبةً على قبيلتهِ (ﻫ . ل .)

تقول مع ذلك انهُ كان نصرانياً بل اردنا فقط ان نبيّن معايب ادلَّة الخصم وضعف براهينهِ وسقط متاعهِ في أُمور تواريخ العرب لا غير

امَّا (الراي الثالث) فهو مذهب القائلين بانهُ لم يكن على دين معروف بل كان من المذبذبين فقد جاء في القاموس : « امرؤ القيس الملك الضليل الشاعر سليمان بن حجر رافع لواء الشعراء الى النار » اه. وقد روى في كتاب بلوغ الارب (٣ : ١٠٠) قولهُ : « امرؤ القيس بن حجر الكندي هو امير الشعراء ... يجيء يوم القيامة وبيده لواء الشعراء يقودهم الى النار » . فيروى ان كلًّا من لبيد وحسَّان بن ثابت قال : « ليت هذه المقالة فيَّ وانا المُدهدَى فيها » اه

رأينا

اما رأينا الشخصي فهو ان امرأ القيس كان على المزدكيَّة (١ وبهذا القول تصحّ جميع الاراء الثلاثة المذكورة وتُحلُّ عقد هذه المعضلة على هذه الصورة : ان اللذين يذهبون الى انهُ كان وثنيًا لكونهِ عمد الى الاستقسام بالقداح فهذا امرٌ لا تنكرهُ المزدكيَّة لانها تجيز كل محظور وتستحل كل منكر سوى القتل وبعض امور لا يؤبهُ لها .

(١ المُزدكيَّة بضم الميم وفتحها وسكون الزاي المثلثة الفارسية المقابلة لحرف j الفرنسي او الجيم السورية الحالية بعدها دال مفتوحة نسبةً الى مُزدك . وقد ضبطها ياقوت في معجمهِ بميم مفتوحة وزاي مثلثة فارسيـة ساكنة فيكون لفظ اسم المبتدع هكذا Mujdac او Majdac ويجوز لفظهُ بالزاي العربية الموحدة كما ذكرها سائر كتَّاب العرب يعني Muzdac او Mazdac إلَّا ان كتابتها بالزاي المثلثة اصحّ لموافقتها لاصلها كما ذكرها صاحب البرهان القاطع في (٤ : ٢٠٠) وقد ضبط العرب ميم مزدك بالضم والفتح . امَّا ضبطها بالضم فقد قال السيد المرتضى بعد مادة « زحمك » : « وممَّا يستدرك عليهِ (زدك) وهو فعل مُمات (كذا والاصح ان يقال لا وجود لهُ في العربية لان قولهُ « مُمات » يُوهم بانهُ كان مستعملًا في عصر من عصور اللغة وهو غير صحيح) جاء منهُ مُزدك كمُقعَد : اسم رجل . » اه. قلت : ومزدك غير مشتق من فعل وانما هو اسم اعجمي لا علاقة لهُ مع العربية

وامَّا الفتح فقد قال السيد المذكور نفسهُ بعد مادة « مزك » : وممَّا يستدرك عليهِ : مَزدك كجعفر وهو اسم رجل خرج في ايام قباذ والد كسرى [انوشروان] فاباح الاموال والنساء وعظم امرهُ وكثر اتباعهُ فلمَّا هلك قباذ قتلهُ كسرى [انوشروان] مع جملة من اصحابهِ وبقي منهم جماعة يقال لهم المزدكيَّة . اه . والاصح الكتابة التي نقلناها عن ياقوت اعني بالزاي المثلثة كما ذكرها ايضاً فريتاك في معجمهِ (٤ : ١٧٤) لان الاعلام ان رُويت على لُغاتها كانت اصح راجع ما ذكرناهُ في المشرق بهذا المعنى وما اثبتهُ ابن خلدون في هذا الصدد

ثمَّ ان سيرة هذا الرجل ممّا وقع لهُ مع النساء ممّا يؤيد هذا الراي ايضًا . ولمّا كان اغلب الزدكيين مُرائين في دينهم فهم يوافقون كل من يصادفونهُ بدون ان يبيّنوا لهُ ما هية دينهم ولكونهم كانوا مبغوضين من الجميع لم يدع امرؤ القيس في اشعارهِ ما يُشمّ منهُ رائحة مذهبهِ

وكذلك يتضح معنى بيت ذي الرُّمة عند ما عيّر هذا اهل امرئ القيس وعشيرتهُ باكلهم لحم الخنزير وشربهم الخمر (١ لان الزدكيّة تجيز كلا الامرين بل تجيز افظع المنكرات كما هو مقرر في الكتب التي تبحث عن مذهبهم اذ ان مزدك « امرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمؤانسة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحُرم والاهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعهُ » (انتهى بحرفهِ عن كتاب الفهرست لابن النديم ص ٣٤٢)

وهذا الراي يفسّر لنا كيف ان البعض انخدعوا بقولهم انهُ نصرانيّ . وذلك لمّا كان مذهب الزدكيّة يشبه بعض الشبه مذهب الثنوية (بلاغ الارب ٢ : ٢٥٠) وكانت الثنويّة من فرق النصارى (٢ جازهم القول بنصرانيتهِ وذلك بتعسّفٍ وتكلّف وعلى ضعفٍ في القول

وامّا الذين اعتبروهُ من المذبذبين ومن الهالكين في النار فقد ساقهم الى ذلك كون الزدكيّة من مجترحي اعظم المنكرات واقبحها وهم لا يبالون بها وعليهِ فلم يرَوا في كلامهم اجحافًا او منقصةً عند ما اعتبروهم من الهالكين

الّا ان رأينا وان كان على ما يبين لاعيننا صحيحًا لكونهِ يفسّر اجلى تفسير كلّ ما أُشكل من ترجمة هذا الشاعر الجليل المفلق ويشرح احسن شرح مـا جاء في ابيات شعرهِ فكان يحقّ مع ذلك لفريقٍ أن يتبعوهُ ولا يتخذوا لهُ محلًا لو لم يكن مدعومًا بنصٍ واضح يسند هذا الراي فيتفق حينئذٍ والعقل النقل على هذا الامر فينقطع حبل الجدال ويبطل بين القوم القيل القال

هذا كان رأينا من مدّة الّا اننا لم نجسر ان نعرضهُ على القوم اذ نقَّرنا في الاسفار

١) قد سبق انَّ هذا البيت لا يختصّ بالشاعر امرئ القيس (م . ل .)

٢) راجع ما سبق قولهُ في هذا الصدد (م . ل .)

عن شاهد يثبت لنا تاريخيًا هذا الراي فلم نجده . وبينا نحن نبحث عن مادة تاريخيّة في معجم البلدان اذ عثرنا على ضالتنا نبهًا ففرحنا بها ولا فرح الغائب بلقاء أهله . وهذا نصّه : « ان الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المرار وهو جدّ امرئ القيس الشاعر كان قد تولّى الحيرة في ايام قُباذ لدخوله في دين المزدكيّة الذي دعاه اليه قباذ ونفى النعمان عنها واشتغل بالحيرة عمّا كان يراعيه من امور البوادي فتفاسدت القبائل من نزار فاتاهم اشرافهم وشكوا اليه ما نزل بهم ففرق اولاده في قبائل العرب (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٢٩٨) اه . فهذا كلام صريح يظهر بان جدّ امرئ القيس كان مزدكيًا وكان مقيمًا في الحيرة وقد ولّاه قُباذ لكونه دخل في دينه ولذلك نفى النعمان عن الحيرة لكونه كان نصرانيًا ولم يرد الدخول في هذا الدين اللعين . — وليس ياقوت وحده يقول هذا القول بل ابو الفداء ايضًا فقد قال (١ : ٧٨) ما هذا حرفه : « وقوي الحارث المذكور ووافق كسرى قُباذ بن فيروز على الزندقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قُباذ المنذر بن ماء السماء اللخمي عن الحيرة واقام الحارث المذكور موضعه فعظم شأن الحارث » اه . ومثل هذا القول قال ابن الاثير (١ : ١٨٢) وهذا كلامه : « فلمّا تولّى قباذ بن فيروز الفرس خرج في ايّامه مزدك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناه فاجابه قباذ الى ذلك وكان المنذر بن ماء السماء عاملًا للاكاسرة على الحيرة ونواحيها فاجابه قباذ الى الدخول معه فامتنع فدعا الحارث ابن عمرو الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر عن ولايته » اه . وقال الاصبهاني صاحب الاغاني (٨ : ٦٣) ما هذا حرفه : « لمّا تولّى قباذ بن فيروز خرج في ايامه رجل يقال له مزدك (وفي الاصل مردك براء مهملة وهو من غلط الطبع) فدعا الناس الى الزندقة واباحة الحُرم وان لا يمنع احد منهم اخاه ما يريده من ذلك وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملًا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى الدخول معه في ذلك فابى . فدعا الحارث بن عمرو فاجابه فشدّد له سلطته وطرد المنذر . اه . ثم ذكر بعد ذلك كما ذكر سائر المؤرخين المومأ اليهم ان انوشروان لمّا تربع على عرش المملكة امر بقتل الزنادقة فقتل في ضحوة واحدة مائة الف زنديق (١ وطلب انوشروان

١) كذا ورد في الاغاني . وقد جاء في البرهان القاطع لمة عن هؤلاء الزنادقة في غاية الافادة قال (٤ : ٢٠٩) : مُزدك وزان مُزدك اسم رجل ادّعى النبوة في عهد قباذ والد كسرى

الحارث بن عمرٍو ليقتلهُ لانهُ كان مزدكيًا فلم يظفر بهِ. الى آخر ما هناك من تتمة القصة وليس فيهِ ادنى اشارة الى نصرانيَّتهِ ولا الى نصرانيَّة واحدٍ من اولاده

وقد اتفق مؤرخو الافرنج ومؤرخو العرب على ان قباذ كان مزدكيًا لا مانويًا ما عدا ابن خلدون فانهُ قال (٢ : ٢٧٤) ان قباذ كان على دين ماني فاجابهُ الحارث بن عمرو على ذلك ووافقهُ . ونظن ان سبب هذا الوهم ان ابن خلدون نقل روايتهُ عن احد المؤرخين القائلين ان قباذ كان زنديقًا (١ ولمَّا كانت هذه اللفظة تقع على المزدكي والمانوي والثنوي ونحوهم فلمَّا اراد ان يزيد الكلام وضوحًا بجلّ وثاق الاطلاق من كلمة الزنديق ليربطها برباط التخصيص وقع في هاوية الوهم فقال ما قال. على ان ابن خلدون خالف هنا ما وضعهُ من الأُسس المتينة في مقدمتهِ (٢ : ٢٧٦) عند ذكرهِ شروط تدوين الامور التاريخيَّة فذكر ما ينقض كلامهُ الاول ويجعلنا ان لا نلتفت الى ما روى في ما سبق قبل صفحتين ولا ان نلتفت اليهِ هنا وهذا نصُّ كلامهِ : « . . . وولي بعدهُ (اي بعد حجر آكل المرار) ابنهُ عمرو بن حُجر ثم ابنهُ الحارث المقصور وهو الذي ابى ان يتزندق مع قباذ ملك الفرس فقُتل في بني كلب ونُهب مالهُ . اه . مع انهُ قال قبل ذلك انهُ اجاب قُباذ عند ما دعاهُ الى الزندقة وعليهِ فلا اعتماد على ابن خلدون في هذا الامر لمناقضتهِ لنفسهِ

ومن ثمَّ فالنص الذي اورد في شعراء النصرانيَّة يحتمل وجهين فامَّا ان يكون الناسخ قد اتى من عندهِ بقولهِ : «وكانت فيها (اي في الحيرة) النصرانيَّة وبقي عليها » واما ان يكون قد ابدل كلمة « المزدكيَّة » فغيرها بلفظة « النصرانيَّة »

انوشروان وكان يزعم ان النور والظلمة ازليَّان وان فعل النور اختياري وفعل الظلمة اضطراري واتفاقي . وان شعائر عبادة النار حقٌّ هي .. وان جميع الاشياء مباحة للجميع وان زوج زيد تحلّ لعمرو وزوج عمرو تحلّ لزيد . . وليس لواحدٍ شيء مختصًا بهِ على حد ما يتصرف بهِ غيرهُ . . . وتبعهُ جمٌّ غفير . وممَّن انتحل مذهبهُ قُباذ شاه بزرندوست نفسهُ لموافقتهِ لطبيعتهِ فصدَّق ما جاء بهِ مزدك وسهَّل في وجههِ اجراء شعائر دينهِ . ولمَّا قبض ابنهُ انوشروان على زمام الملك امر بقتل مزدك واتباعهِ فهلك مع ٨٠ الفًا من بدعتهِ . وضبط صاحب كتاب مؤيد الفضلاء هذه اللفظة بضمّ الميم وسكون الزاي المعربيَّة ». اه. كلام البرهان

١) راجع ايضًا في معنى لفظة الزندقة ما جاء في المشرق ٤ : ٩٨١–٩٨٤ ففيهِ كفاية للباحث عن معنى اصل اللفظة وعمَّن تسمَّى بهذا الاسم وغير ذلك من الفوائد الجليلة التي لا تراها مجموعة في كتاب من كتب العرب لا قديمة ولا حديثة

ظنًّا منهُ انها من اغلاط النسّاخ لان الحيرة مشهورة بنصاراها فتتج منها ما تتج . اما كون المزدكيَّة كانت في الحيرة فهو امرٌ لا يحتـاج الى ايضاح (١ اولًا لان الحيرة يومئذٍ كانت بيد الفُرس وكانوا مجوسيَّـة ومن طبعهم ان يحاموا من كان على مذهبهم ولا شيء هناك ينفي وجودهم فيها . ثمَّ جاء قباذ فانتحل المزدكيَّة وتبعهُ قومٌ كثير من رعيتهِ تأسيًا بهِ ففشت المزدكية من ذلك الحين في الحيرة التي كان فيهـا من جميع اخلاط الناس وطوائفهم واديانهم . ثانيًا قد جاء في كتاب المعارف لابن قُتيبة عند الكلام عن اديان العرب في الجاهلية قال : « وكانت الزندقة في ... اخذوها من الحيرة (٢ » ولا جرم ان المراد بالزندقة هنا المزدكية . اما تسمية المزدكية بالزندقة فواضح من ايراد النصوص المتقدّم ذكرها عند الكلام عن دين قباذ ودعاء الحارث اليه فان مؤرخي العرب اطلقوا عليهم تارةً اسم المزدكية وطورًا اسم الزنادقة . ثالثًا جاء في كتاب بلوغ الارب ما هذا لفظهُ « قول ابن قتيبة : اخذوها (اي الزندقة) من الحيرة » فانها كما اسلفنا في الكلام على حكّام الحيرة من بلاد الفرس وان كان سكنتها وحكّامها من العرب المتدينين بدين الفرس او دين المسيح » اه

فقد تبين من ايراد هذه النصوص وذكر الشواهد وسرد البراهين والادلة ان جدّ امرئ القيس كان مزدكيًّا وحاربهُ انوشروان لكونهِ بقي على هذا الدين ولم يُذكر عن ابنهِ ولا عن حفيدهِ ما يشعر بان واحدًا منهما ترك دين ابيه أو جدّهِ وتمسَّك باهداب دين آخر بل بالعكس ان تتالي الوقائع من اخذ الثار بدم الحارث بن عمرو ما يُبين ان الابن والحفيد بقيا على ذلك الدين اللعين . والله المعين . على ايضاح الحق المبين (١

---

١) وهذا ما تكرهُ فانّا لا نعلم بنصٍّ واضح يدلّ على وجود المزدكيَّة في الحيرة ومن ثمَّ لا نقبل بهذا البرهان (هـ . ل .) ٢) المقصود بالحيرة هنا بلاد العراق حيث كان تجار قريش يتردَّدون لتجارتهم . ومن ثمَّ ترى بعض الكتبة يروون انَّ الكتابة اتتهم من الحيرة ويروى غيرهم الانبار والمقصود جهات بابل والعراق (هـ . ل .)

١) امَّا نحن فنرجح نصرانيَّة امرئ القيس الَّا انَّ نصرانيَّتهُ كنصرانيَّة غيرهِ من العرب لاسيَّا الشعراء منهم اعني انهم في الغالب لم يبالوا بفرائض الدين . وللدين في شعرهم آثار قليلة جدًّا لا تكاد تتميز وكذلك الامر في شعر شعراء اليهود من العرب واذا فحصتَ شعرهم وجدتهم متشابهين في الاقوال والمعاني بحيث يصعب تمييز الوثنيين عن اليهود والنصارى أفترى احدًا يشكّ بنصرانيَّة الاخطل ولا ترى مع ذلك في شعرهِ من آثار دينهِ الَّا ما لا يُحفل بهِ (هـ . ل .)

نبذة فكاهيّة في الخرافات العاميّة

للشاب الاديب يوسف افندي غنيمة البغداديّ

تمهيد

يُراد بالخرافات جمع خُرافة قال صاحب محيط المحيط ؛ ومنها الخرافات للاحاديث المستملحة كالفكاهة من الفاكهة وبها سُمّي خرافة وهو رجل من بني عذرة استهوتهُ الجنُّ كما تزعم العرب فلمَّا رجع اخبر بما رأى منها فكذَّبوهُ حتى قالوا لما لا يُصدَّق حديث خرافة ومنهُ قول بعض شعراء الجاهلية :

حيوةٌ ثم موت ثم بعث حديث خرافةٍ يا ام عمرو

او الخرافة حديث مستملح كاذب . والمشهور انها الحديث الباطل مطلقاً اه .

وانما أُريد بالخرافات العامية مجموع اعتقادات فريّة كاذبة قد سادت على عقول القوم في ايام كانت غارقة بالجهل والغباوة ولا تزال آثارها حيّة حتى في ايامنا التي امتازت بمدنيتها وعمرانها وهذه الخرافات ترى حتى عند الامم الاكثر تمدناً . فعند الانكليز مثلاً اذا شاهدت العروس على ثوب عرسها نسيج العنكبوت تعدّ ذلك بشرى بحسن مستقبلها والافرنسيون يتشاءمون بعدد ثلاثة عشر فلا يجلسون في مركبة ولا على مائدة وعددهم ثلاثة عشر . والبنات منهنَّ اذا وجدنَ وردة القتّ (trèfle) ذات اربع وريقات يُنتظر قرب زواجهنَّ ومنهُ عبارتهنَّ الفرنسية اذا اردنَ ان يخبرنَ عن خطبة احدى البنات : « وجدت زهرة قتّها باربعة وريقاتها » (Elle a trouvé son trèfle à quatre feuilles)

فلا بدَّ من سائل يسأل عن منشإ هذه الخرافات واصلها . فنظرًا لرأيي انها تولدت من اربعة مصادر اصلية : اولاً : من بقايا الاعتقادات الوثنية . واذا صعدنا سلَّم التاريخ لعلَّنا نعثر على اصلها واشتقاقها عن الخزعبلات الشركية

ثانيًا : عن امور جهل القوم دواعيها فنُسبت الى علَّة ليست علَّتها

ثالثًا : من مشابهة شيء مفقود لشيء موجود . مثال ذلك تجدهُ في اول خرافةٍ اسردها ادناه

رابعاً : من اكذوبة اخترعها رجال امتازوا بحصافة ادراكهم وذلك تملُّصاً من الناس .

او طلبة او خطر كما فعل خريستوف كولمبوس بسكان اميركا عند ما ارادوا به سوءا فتهددهم بان يجعل الحوت تبلع ُحنزهم. وحكايتها مشهورة في تاريخ افتتاح اميركا

هذا ولا انكر ان للخرافات عللاً غير التي نوّهت بذكرها لانهـا لا تدخل تحت ضبطٍ ولا قيدٍ. واذ كنتُ قد جمعت عددًا منها وافرًا في بغداد استصوبت نشرهـا تفكهة للمطالعين ليس الّا

١ ان الأخوذ من امام بلبل صادح يزيل بحّة الصوت

٢ نعاق البوم يجلب الشؤم. فدفعاً لحدوث الشر يلزم قول هذه العبارة: سكين وملح

٣ اذا نبح كلب بصوتٍ مزعجٍ يُنتظر وقوع حزنٍ في القوم كموت وغيره

٤ ممنوع كنس الدار ليلًا خشيةَ ان يموت أهلها

٥ لا يجوز ان يُعار قدرٌ ليلًا لانهُ يكون داعيًا لخروج تابوتٍ من البيت المستعار منهُ

٦ إعارة بيضة في الليل تجلب المنيّة على اطفال المستعار منهم

٧ اذا حلَّ زائرٌ ثقيل على قوم فما لهم سبيل للتملص منهُ الّا ان يحرقوا ملحاً

٨ من حضر بدء مخاصمة واراد احماء وطيسها فعليهِ ان يفرك اظافيرهُ ببعضها

٩ عند ما تُبنى دارٌ جديدة يجب ان يوضع فوق بابها حذاءٌ عتيق او لعبةٌ من خزق وقاية من مفاعيل العين الصائبة

١٠ من اراد صيانة نعجتهِ او اتانهِ من عين الحسود يجب ان يعلّق في عنقها قلادة من الوَدْع (الوَدْع: خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر والكبر شقّها كشق النواة تُعلّق لدفع العين الواحدة وَدعة ج وَدعات. عن محيط المحيط) ومن هذا التعريف ينتج ان استعمال الودع لهذه الغاية شائع ايضاً في غير اقطار. واظنهُ اتّصل بنا من ايام الوثنية ولي على ذلك شاهد لغوي منها قولهم للاوثان ذات الوَدَع (والصواب الوَدْع). وعندنا للغاية ذاتها يُعتّق ايضاً غصن مع الودع

١١ محظور تفصيل القماش والخام ليلًا لأن ذلك يعقب تفصيل كفن لاحد اهل الدار

١٢ السرقة من زاد المسافر ترجعهُ سريعاً الى مسقط راسه

١٣ نعيق الغراب (وهو بلسان اهل العراق ابو قاع) يبشر بقدوم مسافر

١٤ الكبسة وامرها مشهور في سوريا كما في العراق (راجع المشرق ٢: ٦٧٩) وهي تحصل على راي العامة عندنا من التقاء عروستين فاذا تعنّتا زالت مفاعيلهـا او

مصادفة عروسة نفساء وجنازة . وغير ذلك

١٥ كسر اثاث او فقد شيء من البيت ينبئ بزوال تعاسة كانت قريبة الحلول فتعوضت

١٦ صبّ الماء على الارض بعد توديع المسافر يُرجعهُ الى بلادهِ عاجلًا

١٧ القاء الحجار وراء مسافر نحس يصدهُ عن العود

١٨ النظر الى وجه ميتٍ يزيل العقر

١٩ عتبات البيوت لها علاقة بالحظوظ فيقال : فلانة مشئومة العتبة وفلانة عتبتها جيدة

٢٠ الأهوية تتأتى من اهتزاز لحية مار الياس فاذا صار وقوف فيها سمعتهم يقولون : يا مار الياس هز لحيتك ! (ويزيدون في حلب) : وحرّك شيبتك

٢١ لا يُوقد في محلٍ واحد ثلثة سُرج لان ذلك يصير داعيًا لتعاسةٍ بل يوقد اقلّ او اكثر

٢٢ تربية فراخ الدجاج مشئومة على البعض ولا توافقهم

٢٣ عند فطام الطفل تُلقى بيضة في النهر فبذلك تقرّ حرقة قلب المفطوم

٢٤ يصدف ان بعضًا من الثياب تصفرّ الوانها من القدم والعتق ويكون اصفرارها ضاربًا الى الحمرة فيقال ان الجنّ استعارتها في عرسٍ لها وهذه البقع الصفراء هي من آثار الخضاب

٢٥ اذا حكّتك يد اليمنى ستُضرَب عليها . واذا كانت الحكّة في اليسرى فبشراك لانك ستقبض الاصفر الرنان والابيض الفتّان

٢٦ تراكب الاسنان على بعضها دلالة على ان صاحبها فُضوليّ الاخلاق

٢٧ اذا نُزعت الاحذية عند الدخول الى الدار فانقلبت على ظهرها ينتظر حدوث نحس

٢٨ الدويّ في الاذن اليسرى علامة على انك تُذكر بخير وفي اليمنى بشر . ومنها عبارة اهل العراق اذا شاؤوا ان يخبروك بانهم كانوا يتكلمون عنك : أما صاحت اذنك في الوقت الفلاني ؟

٢٩ اذا لبست الثياب على قفاها لعدم انتباهٍ لا توثر في اللابس مفاعيل السحر

٣٠ لا يجوز ان تقطع من الدار نخلة او شجرة نبق وهي خضراء حذرًا من ورود داعي الحِمام على اهلها

٣١ لا يجوز تقليم الاظافير ليلًا خوفًا من وقوع شرّ

٣٢ اذا غُطس الطفل في دنّ الصابغ يطول عمرهُ

٣٣ اذا رفّت العين ينتظر وقوع حادث يحزن يهطّل الدمع مدراراً

٣٤ محظور على القوم ان يمزجوا شيئاً حامضاً في المشروب الذي يقدَّم في حفلات الخطَب (راجع مقالتنا في المشرق ٧:٦٠٧) خوفاً من وقوع ما يكدر القرينَين

٣٥ صياح الديك في غير اوقاته القانونية يكون داعياً لتعاسة . فيلزم ان يُذبح

٣٦ لا يجوز للمرأة ان تكسر سوارها الحجري الّا اذا كان مفطوراً . لان ذلك يجلب الموت على قرينها

٣٧ اذا سقط رجيع طائر على شخص ينبئ برزق يصيبهُ

٣٨ سقوط صورة معلقة تنبئ بنزول داهية على صاحبها المصوَّر فيها

٤٩ ولوج ذبابة في فم تشعر بهدية تاتي من مسافر (وقد اصطلح اهل العراق وحلب على هذه الهديَّة بلفظة ارمغان)

هذا آخر ما اردت تعليقه تحت عنوان مقالتي . وكان باستطاعتي ان اكتب غيرها فغيرها ما لا يحصى الّا اني اكتفيت بهذا الوشل القليل لأن التوسع في هذا الباب يورث الملل . اه

مطبوعات شرقية جديدة

Die arabischen Lehrbücher der Augenheilkunde, bearbeitet von Prof. **Dr. G. Hirschberg.** Berlin, 1905, S. 118, in-4.

التآليف العربية في برء امراض العين

لم ينسَ قرّاؤنا الادباء وصفنا لكتاب تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى (ص ٢٨٢) الذي سعى بنشره منقولًا الى الالمانيَّة جناب العالمين هرشبرغ وليبرت . فكأن الاستاذ هرشبرغ أُولع مذ ذاك بدرس كتبة العرب الذين تفرَّغوا لدرس امراض العين وشفائها فجعل ينظر في خزائن الكتب الشرقية . ويجمع من التآليف المنوطة بهذا الصدد ما امكنهُ فتوفرت لديهِ المواد وها هوذا قد اتحفنا بكتاب موسَّع ضمنهُ كل ما يتعلق بهذا الفرع من الدروس الطبيَّة وقسم كتابهُ الى عشرة فصول بحث فيها عن اوَّل اطبَّاء العرب الذين كتبوا في صحَّة العين سواء كان في كنَّاشاتهم او في مصنفاتهم الخاصَّة وواصل

بحثهُ في نُطس الاطباء. او الكحالين الذين اشتهروا قرنًا بعد قرن في معالجة ادواء العيون الى الازمنة المتأخرة من مسلمين ونصارى ويهود في البلاد المختلفة كالشام ومصر والعراق والاندلس . وهو يعرّف تآليفهم ويبيّن مزاياها ويذكر النُسخ الباقية فيها . وينتقد على طرائقها العلاجيّة ويقابل بينها وبين الطرائق الحاليّة بحيث جاء الكتاب اوسع واتمّ ماكُتب في هذا المعنى جامعًا بين التاريخ والطبّ فلا يسعنا الآن ثني على المؤلف ونشكر الاستاذين ليبرت ومتفوخ اللذين ساعداهُ في تصنيفهِ هذا ثمّ نحض الاطباء على اقتنائهِ ومطالعتهِ ليستفيدوا منهُ ولعلّهم يفيدون كاتبهُ اموراً فاتتهُ فيكونون لهم من الشاكرين ل . ش

KIRCHLICHES HANDLEXIKON, in Verbindung mit d. Prof. **Hilgenreiner, Nisius** s. j. und **Schlecht** herausg. von Dr. **Buchberger**, 4°, Lief. 1-7 à M. 1-München, Allgemeine Verlags-Gesellsch. 1904-1905.

المعجم الكنسي لاهل المدارس

وُضع هذا المعجم لافادة الاكليروس الكاثوليكي واساتذة اللاهوت والتاريخ الكنسيّ وطلبتها . وكان الالمان الكاثوليك قد سبقوا فنشروا عند الطبّاع هردر الشهير معجمًا مطوّلاً بل قاموسًا محيطًا فمنعت سعتهُ الكثيرين من اقتنائهِ لاكتفائهم بما هو اقرب منالاً . وهذا المعجم يسدّ ذلك الخلل فانهُ يحتوي لباب المسائل وصفوة الابحاث وقد ظهر منهُ حتى الان سبعة اجزاء ولا يلبث ان يتم في وقت قريب . ومن خواص هذا المعجم انّ كل بحث من ابحاثهِ لاحد العلماء الممتازين المعدودين كحجّة في كل فن . وقد سرّنا اننا رأينا في جملة المشاركين في العمل او الكتبة عدداً من اليسوعيين الالمان الذين يُركن لاعمالهم كالاب نزيوس والاب فُنك والاب لهنكول وغيرهم ممن يعرف الشرقيون انفسهم سبقهم في العلوم الكتابيّة واللاهوت النظري والادبي . امّا طبع الكتاب فمُتقن تتراصّ لسطر صفحاتهِ ليبقى حجم الكتاب معتدلاً . وعندنا انّ هذا المعجم يُصيب حظوةً لدى الدارسين اذا ما نجز قريبًا وهو لا يزيد على جلدين . وفي الختام نتمنّى ان ادباء بلادنا الكاثوليك يباشروا بكتاب مثل هذا لمنفعة ذوي جلدتهم

The preservation of antiquities. A handbook for curators translated from the German of F. RATHGEN by **G. A. Auden** and **H. A. Auden**, in- 8° *XIV* - 176 pp., 1905, *Cambridge, University Press*.

الدليل لصيانة العاديَّات

لاصحاب المتاحف الاوربيَّة اهتمامٌ عظيم في صيانة العاديَّات التي جمعوهــا في الانتكخانات . ومِمَّن اشتهروا بإيجاد الطرائق الموافقة لهذه الغاية الجليلة العلَّامة رَتْغن ناظر دار العاديَّات في متحف برلين الملكيّ وقد وضع في ذلك كتابًا صغير الحجم حافل الفوائد والوصفات والوصايا المبنيَّــة على الاختبارات والمبادئ النظريَّة . فبادر العلماء لتقريظ هذا الكتاب المفيد ومنهم من استند اليهِ لتصنيف كتبٍ أُخرى من جنسهِ كالعالمين بلوشــه (Blauchet) وڤيلنوازي (Villenoisy) اللذين نشرا عند الطبَّاع لورو سنة ١٨٩٩ كتابًا وسماه باسم «المرشــد لحافظ العاديَّات» واتَّسعا في مباحثهِ ليستفيد منهُ محبّو العاديَّات البعيدون عن المدن . ومنهم من نقلهُ عن الالمانيــة الى لغات اوربية غيرها . والكتاب الذي نصفهُ ترجمة انكليزية متقنة لتأليف رَتغن طُبعت طبعًا جميلًا في مطبعة كمبردج الشهيرة . والكتاب على قسمين نظري وعملي . والمؤلف يستقصي فيهما البحث عن كل ما يؤول الى صيانة العاديَّات من تماثيل ونقود ومعادن وحجارة وعظم وعاج الى غير ذلك ممَّا لا يستغني عن معرفتهِ الذين يرغبون في جمع الآثار وصونها من تلف الزمــان لاسيَّما انَّ في مطاوي الكتاب عدَّة تصاوير توضح الامر للعيان س٠ ر

KUNSTLEXIKON, ein Handbuch für Künstler und Kunstfreunde, von **W. Spemann**, *Berlin* u. *Stuttg.*, *Spemann* 1905, 8° à 2 Kol. 1054 pp., 128 *phototyp. Taf. u. zahlr. Illustr.*

معجم الصناعة

قد انجز آخرًا الطبَّاع البرليني الشهير شپمان المعجم الصناعي الذي كان باشر بنشرهِ منذ بضع سنين بمساعدة قوم من كبار العلماء ونخبة ارباب الصنائــع والفنون الجميلة كالاساتذة المعدودين فراس (Eb. Fraas) وفلك (O. v. Falke) وهلدبرنت (Hildebrandt) وراثغن (Rathgen) وڤنتر (Fr. Winther) وغيرهم في عدد ثلثين عالمًا . وكل مادَّة من مواد هذا المعجم تتضمن اولاً شرح الالفاظ الاصطلاحيَّة

ثمَّ الفوائد التاريخيَّة وتراجم آل صناعة التي يحتاج اليها الدارس وفي خلال كل مادَّة عدَّة نقوش وتصاوير مرسومة على الخشب او محفورة بالدارات الفوتغرافيَّة المستحدثة ليستعين بها القارئ على فهم النصوص · وقد أُضيفت اليها ايضًا الواح ورسوم لتعريف تاريخ الصناعة والاطوار التي توالت فيها الاحوال الصناعيَّة بحيث يطَّلع القارئ على كل تُحف الفنون الجميلة من هندسة وتصوير ونقش وتماثيل وضرب نقود الى غير ذلك وفي هذه الالواح ٧٦٨ رسمًا فوتغرافيًا وذلك مما يكفي للاساتذة نفسهم فضلًا عن طلبة الصناعة · ومع ثنائنا على ضبط موادّ هذا الكتاب وتدقيقها اجمالًا لا نراها تخلو من بعض الشوائب والخلل لاسيما في المواد المختصة بالصناعة الشرقيَّة والنقوش العربيَّة · وكذلك وجدنا بعض الموادّ اقصر مما يقتضيه الموضوع نخص منها بالذكر بعض الآثار الافرنسيَّة كقصر قرسايل وذكر ثرونا · ومما استقصرناهُ ايضًا تراجم بعض كبار ارباب الصناعة وتفصيل الاطرزة الهندسيَّة وخواصها · الَّا انَّ هذه الشوائب خفيفة بالنسبة الى فوائد الكتاب واتقان طبعهِ وحسن تصاويرهِ · ومع كبر حجمه لا يزيد ثمنهُ على ١٢ مركًا ونصف فنحرض كل محبي الصناعة على تسريح النظر في رياض هذه البقعة الغنا واجتناء اثارها الشهيَّة

HENRY BROWNE s. j.; **Handbook of Homeric Study,** Londres, Longmans, Green and C° 1905, in-16, pp. XVI-335, 22 Planches.

المُعين لدرس شعر هوميروس

انَّ الابحاث في تآليف الشاعر هوميروس تتوفَّر يومًا بعد يوم ولو سردنا جدول ما يُنشر من ذلك سنويًّا لبلغ عددهُ المئين بين مجلَّدات وكراريس ومقالات فمنها ما يبحث عن الشعر وجودتهِ ومنها ما يختص بتاريخ الشاعر واعمالهِ ومضامين شعرهِ · ومما يستحق الذكر بين هذه المنشورات كتاب صنَّفهُ آخرًا حضرة الاب هنري برَون اليسوعي مدرّس اليونانية في كلية دوبلين حاضرة ارلندة · وهو يحتوي على اخصّ المباحث التي يخوض فيها العلماء · وفي صدر الكتاب فصل واسع (في ٨٠ صفحة) مدارهُ على شعر هوميروس وزمن تأليفهِ وفنونهِ الادبيَّة وخواصهِ اللغويَّة وكيف بلغنا هذا الشعر في القصيدتين الشهيرتين الالياذة والأودسَّاة مكتوبًا على البردي · ثم ألحق المؤلف هذا الفصل بفصل ثانٍ يتَّسع فيه عن مؤلف الشعر المنسوب لهوميروس أهو لهوميروس حقًّا ومن هو

هوميروس وهل الشعر الهوميري لمؤلف واحد او لكثيرين ومن هم هؤلاء وكيف جُمعت هذه الموادّ المتفرقة حتى صارت في كتاب واحد . ورأي الاب برون في ذلك (وهو عندنا الرأي الصحيح) انّ شعر هوميروس لم يُصنَّف في وقت واحد بل وُضعت اقسامهُ في ازمنة متباينة وعلى صور مختلفة واساطير متعدّدة ثمّ جاء قومٌ من الادباء بعد ذلك فجمعوا شتات هذه القصائد المتفرقة ولحموا اقسامها على ما نراهُ اليوم . وهذا الرأي الذي يدافع عنهُ المؤلف قد شاع الآن عند المحدثين كالخوري برتن (Bertin) والمسيو كروازه (Croiset) . ويلي هذا الفصل ابحاث اخرى منها فصلان في ما يُستخرج من شعر هوميروس من الفوائد التاريخيّة والجغرافية لمعرفة احوال قدماء اليونانيين من معاش وآداب وسياسة ودين وتجارة وغير ذلك ممّا يشهد لحسن ذوق الكاتب وكثرة مطالعته ودقّة نظرهِ . وقد زيّن كتابهُ بعدّة صور وتأنّق في طبعهِ . ومع هذه المزايا قد لحظنا فيهِ خللًا من بعض الوجوه فمن ذلك انّ المؤلف لم يذكر كثيرًا من المؤلفين الذين سبقوهُ الى هذا الموضوع لاسيّما الكتبة الالمانيين ولو راجعهم لامكنهُ ان يُصلح بعض ما ذهب اليهِ او يؤيد اقوالهُ بادلّة جديدة . وكذلك قد وجدنا بعض الفصول قليلة الاتّساع بالنسبة الى خطرها لم يعطها حقّها من الايضاح . وهذا الانتقاد لا يبخس مع ذلك قدر الكتاب الذي نعدّهُ من احسن التآليف المدرسيّة التي صُنّفت في المباحث الهومريّة

الاب ل. جلابرت

S. JAMPEL. **Die Wiederherstellung Israels unter den Achaemeniden.** Kritisch-historische Untersuchungen mit inschriftlicher Beleuchtung. *Breslau*, *Koebner* 1904. 171 pp. 8°.

رجوع اسرائيل من سبي بابل في عهد الفرس

نشر معظم هذا الكتاب مؤلفهُ الموسوي جَمْپل في المجلة الشهريّة التي عنوانها: (Monatschrift für Geschichte und Wissenschaft des Judenthums.) ومقصودهُ ان يبين صحّة السِفرَين المقدّسين الموسومين في التوراة باسم عزرا ونحميا ويزيّف مزاعم بعض الاباحيين الذين ذهبوا الى ان هذين السِفرين مصنوعان فيردّ على حججهم ثمّ يردّ ايضًا على اشياء اوردها بعض الكتبة الكاثوليك كالعالمين الالمانيين كولن ونيكل الذين كتبوا عن هذا الموضوع في مجلّة المباحث الكتابيّة (Biblische Studien) وطريقة المسيو جَمپل في المباحثة تدلّ على اقتدارهِ وسعة معارفهِ . وبراهينهُ

قرية للعقل تستوقف بصر المنتقدين لاسيَّما عند استنادهِ الى الآثار الفارسيَّة القديمة وعند شرحهِ لايات الكتاب المقدَّس وان لم نستصوب كلَّ ما يقولهُ وعلى كل حال قد وجدنا في هذا الكتاب دليلًا واضحًا على انَّ الموسويين اذا ارادوا امكنهم ان يبحثوا بحثًا علميًّا في اسفار الكتب المنزلة ويحسنوا انتقادها فعسى هذا المثل ينشط كثيرًا منهم ويبعث هممهم للدفاع عن كلمة الله

شذرات

مرفأ سالونيك تشكَّلت شركة في باريس راس مالها ثمانية آلاف الف فرنك وكل اليها الباب العالي مرفأ سالونيك لاربعين سنة وقد تعهَّدت الشركة أنها توسع المرفا وتبتني مستودعات (عنابر) للحبوب . امَّا الدولة السنيَّة فانَّها ستقيم على جوانب المرفإ الابنية اللازمة لتحصينهِ . وهي قد عيَّنت كومسارًا من قبلها لمراقبة الاعمال . واذا تمَّ بناء المرفإ وحصلت الشركة على نفقاتها مع فائدتها تقسم الارباح بينها وبين المدينة فتُعطى المدينة الستين في المئة وتأخذ هي الاربعين

الفواكه المصوَّرة شاع في اوربة منذ بضع سنين ان تُقدَّم في المآدب والولائم للمدعوّين فواكه من تفَّاح وكمثرى وخوخ ومشمش أثبتت عليها تصاوير مشاهير الرجال . ولاتخاذ هذه الصور يدهنون قشرة الثمر الخارجة بمواد كيماويَّة كما تُطلى الصفائح الحسَّاسة ثم يعرضونها لنور صورة يريدون رسمها فتنطبع على القشرة وتبقى عليها بقاء الصور الشمسيَّة . وقيل أنَّ أوَّل من ابتدع هذه الطريقة بعض ارباب الفلاحة الفرنساويَّة فعرضوا فواكههم مصوَّرةً في معرض الاثمار في بطرسبرج سنة ١٨٩٤ وكانت الفواكه تمثّل شعار الدولة الروسية . وبعد سنتين لمَّا زار القيصر وقرينتهُ باريس قُدّم لهما في جملة المآكل ثمار عليها رسمهما بهيئة بديعة ومذ ذاك الحين شاع استعمال الفواكه المصوَّرة

مربَّى البندورة البندورة من الاثمار التي يحسن استعمالها في مآكل متعددة . وقد اخذ الاوربيون يستحضرون بها المربَّيات الطيّبة ولذلك يغلونها غليًا خفيفًا ثمَّ يقشرونها ويطبخونها نحو ساعة . ويحركونها مع السكَّر ثمَّ يعصرون فيها

الليمون الحامض ويدعونها نصف ساعة حتى تغلي وتنعقد ويجعلونها في القُلل او غيرها من الآنية . امَّا مقدار السكَّر اللازم فيكون على قدر ثقل البنادورة مثلًا بمثل ويكفي ليمونة واحدة لكل كيلوغرام . وطعم هذا المربَّى لذيذ لا سيَّما اذا نُزعت بالمنخل بزوره

﴿ آلتان عجيبتان للبريد ﴾ انَّ فكر الامركان منصرف الى الاختراعات العجيبة لاسيما التي يقتصرون بها الوقت ويوفّرون بها الشغل فمن ذلك آلتان حديثتان سبقوا الى وضعهما الواحدة منها تغلّف المكاتيب وتختمها وتلصق عليها بول البريد بحيث يمكن لعامل واحد ان يوفد في الساعة عشرة آلاف رسالة . والاخرى اعجب منها تطوي الجرائد والجلات وتلصق عليها الغلافات البريديَّة وتكتب العناوين بآلة الكتابة

اسئلة واجوبة

س كتب لنا من بغداد حضرة الاب نرسيس صائغيان الارمني البغدادي

سألني بعض الادباء ممَّن اطَّلعوا على مقالتي في اللغة الارمنيَّة ما معنى كلمة « اللغة الهنديَّة الجرمانيَّة » الوارد ذكرها هناك والتي تُرى في جميع الكتب التي تبحث عن اللغات وهي لا توجد في المعاجم اللغويَّة العربيَّة

قلنا انَّ هذا الاسم من مصطلح اللغات ويراد بها اللغات الهنديَّة الايرانيَّة (كالسنكريتية والزنديَّة والبهلويَّة وغيرها) والصقليبَّة والبلتيكيَّة والارناووطيَّة واليونانيَّة والجرمانيَّة والغلطيَّة والايطاليَّة (كاللاتينية والأُترسكيَّة والأُمبريَّة) وهي تغييرات او تكييفات لغة واحدة مُماتة الَّا ان بقاياها تُرى في مجموع هذه اللغات

وهذه اللغة الأُم على راي ماكس مُلَر كانت حيَّة في سابق الزمن ويتكلَّم بها قبيلة من اواسط آسية وكانت قد نشأت تلك القبيلة من عشيرة واحدة كانت تعيش تحت سقف واحد كما كانت لغة كامُونس وكرڤانتس وڤالتر ودانت يومًا لسان جماعة من الفلاحين اتخذوا اكواخهم على التلال السبعة المجاورة لنهر التبر

وعليه فمعنى اللغة الهندية الجرمانيَّة او الهنديَّة الاوربية لغة اناس كانت تجمعهم سابقًا لغة واحدة واليوم قد تفرقوا تحت كل كوكب وفي لسانهم بقيَّة من اللغة الأُم فسبحان الحي الباقي الذي يغيّر ولا يتغيَّر .